الدعوة السرية وفقهها

Secret call and jurisprudence

الدكتور .صلاح الدين نامق خميس حميد الراوي

جامعة الانبار-كلية التربية القائم

Dr. Salah al-Din Namik khamees Hamid T-Rawi
Anbar University - college of Education – al kae'm

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة، وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه أجمعين، وبعد:

لا شك أن السيرة النبوية تعد خير ما يدرسه ويتعلمه المسلمون بعد القرآن الكريم، فهي التي تمثل أفعال رسول الله ﷺ بكل ما يخص حياته في مختلف جوانبها السياسية والاجتماعية والدينية والعلمية وغيرها، وهي التي أمرنا الله تعالى بالاقتداء بها في قوله: ((لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا)) (٢١:الأحزاب).

وإن سيرته ﷺ مليئة بالدروس العملية التي يمكن للأمة الإسلامية الاستفادة منها لا سيما في هذا الوقت العصيب، ولئن كانت أحداث السيرة النبوية مرت بعدة مراحل، فإن المرحلة السرية هي أول هذه المراحل وأهمها، ولأهميتها في حياة المسلمين بالرغم من قصرها، رأيت الكتابة فيها، واستنباط الفقه الذي عمل به رسول الله ﷺ في هذه المرحلة، عسى أن أكون قد قدمت شيئاً خدمة لسيرة الرسول ﷺ، وخدمة للمسلمين في هذه الأيام مما يستفاد منه من السيرة النبوية.

ولا أدعي هنا أني قد استوفيت جميع جوانب الفقه الذي يمكن أن يستنبط من هذه المرحلة، فالمرحلة مليئة بالفقه والدروس التي لو كتبت فيها الكتب والمجلدات لما أشبعتها أو حوتها، فهي جزء من سيرة الرسول ﷺ العملية، تلك السيرة التي احتوت على أعظم الدروس في مختلف أحوالها.

وقد كان منهجي في البحث المنهج الوصفي الذي يصف حال الواقع الذي كانت تعيشه العرب في مكة، وهي البيئة والمكان الذي خرجت في دعوة الرسول ﷺ، ثم بعد ذلك منهج التحليل والاستنباط، وذلك باستخلاص الفقه الذي يخرج به المسلم من هذه المرحلة، والاستنباط الذي على أساسه تم استنتاج أسباب وعوامل نجاح الدعوة في هذه المرحلة.

واقتضت مادة البحث وطبيعته أن يكون في مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة:

أما المقدمة فقد ذكرت فيها أهمية الموضوع وسبب اختياري له ومنهجي في البحث.
وفي التمهيد ذكرت تحليلاً لواقع المجتمع الجاهلي قبل الإسلام.
ثم المبحث الأول وكان في نزول الوحي وبداية الدعوة السرية.
والمبحث الثاني كان في فقه المرحلة المستنبط وأسباب وعوامل نجاح الدعوة السرية.
وأما الخاتمة فكانت في خلاصة ونتائج البحث.
هذا واسأل الله تعالى التوفيق والسداد، وأن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفع به.

تمهيد

بيان الحالة الدينية والاجتماعية والسياسية في مكة قبل البعثة.
قبل الدخول إلى موضوع البحث وهو: (الدعوة السرية وفقهها) لا بد لنا أن نستعرض أولاً بشيءٍ من الإجمال صورة ذلك المجتمع المكي الذي بعث فيه محمد ﷺ من الناحية الدينية والاجتماعية والسياسية، حتى يمكننا أن نستنبط الفقه من فترة الدعوة السرية لما بينهما من ارتباط وثيق.
الحالة الدينية
كان معظم العرب قبل بعثة نبينا محمد ﷺ بفترة طويلة قد اتبعوا دعوة إسماعيل عليه السلام حين دعاهم إلى دين أبيه إبراهيم عليه السلام، فكانت العرب تعبد الله وتوحده، وتدين بالدين الذي أرسله، حتى طال عليهم الأمد، ولما اقتربت البعثة المحمدية كانوا قد نَسُو حظاً مما ذكروا به، وان كان قد بقي فيهم شئٌ من تلك الديانة وشعائر دين إبراهيم عليه السلام ، فجاءهم عمرو بن لحي[1]وكان رئيس خزاعة، وقد أحبه الناس جاءهم بأحد الأصنام من الشام وهو (هبل) فجعله في جوف الكعبة، ودعاهم إلى الشرك بالله، وعبادة هذا الصنم، فأطاعوه وأجابوه لما يريد، ثم تبعهم أهل الحجاز، ثم اتخذوا أصناما أخرى، وجاءوا بها إلى مكة وهي (مناة) التي كانت قرب البحر الأحمر[2]، و(اللات) التي كانت في الطائف[3]، و(العزى) وكانت في وادي نخلة[4]، فكانت هذه اكبر الأصنام التي يعبدونها من دون الله، ثم كثرت حتى أصبحت في كل بقعة، وبذلك أصبح الشرك وعبادة هذه الأصنام من اكبر مظاهر دين قريش في الجاهلية، وصارت ديانة معظم العرب[5].
الحالة الاجتماعية
إن الوضع الاجتماعي الذي كانت تعيشه العرب في مكة كان وضعا هشا ضعيفا، بعيدا عن تعاليم الدين الحنيف الذي جاء به إسماعيل عليه السلام، بل بعيدا عن الأخلاق والقيم في كثير من جوانبه، فكانت العرب تعتز بأنسابها وأحسابها، وتقدمها في كل أمر، حتى أنهم لا يزوجون بناتهم ولا يتزوجون من غير العرب، وأما جانب المرأة فكان واحدا من أهم جوانب الحياة الاجتماعية

للعرب قبل الإسلام، ولكن للأسف لم يكن هذا إلا جانبا سلبيا مأساويا بالنسبة للمرأة، فكانت المرأة تعد عندهم كأي متاع يملكه الرجل في البيت، فإذا مات زوجها ورثها ابنه الأكبر، وإلا لم يسمح لها بالزواج، وتترك دون راعٍ أو مسؤول، وكانت المرأة لا تورث، ولا تعطى حقا في ميراث أبيها، وأما تعدد الزوجات فكان بلا عدد ولا حساب، وأما الزنا والرذيلة وتجمعاتها فكانت على حساب المرأة وحدها، والأدهى والأمر من ذلك كله هو تلك الجريمة التي تسمى (وأد البنات)، فكان الرجل إذا جاءته بنت دفنها وهي حية تحت التراب خشية العار والإنفاق، لان البنت كانت عندهم لا تخرج للغزو، ولا تحمي العشيرة ممن يغير عليها، ولا هي تعمل فتكسب المال، وكانت تسبى في الحروب والغزو فتتناولها الأيدي، فكان ذلك دافعا للأب ليدفن ابنته وهي حية، وأما جانب العلاقات بين القبائل فكانت تطغى عليها الحروب والغزو والسطو على بعضهم البعض لأتفه الأسباب وأحقرها، هكذا كانت باختصار الحالة والحياة الاجتماعية عند العرب قبل الإسلام[٦].

الحالة السياسية

لم تكن في جزيرة العرب عموماً أو في مكة خصوصاً قيام لدولةٍ تجمع العرب تحت قيادةٍ واحدةٍ، وإنما الذي كان يسود الناس هو العرف القبلي متمثلا بمجموعة من الأعراف والعادات التي تحكم القبيلة الواحدة تحت مسؤولية أحد أفراد القبيلة والذي يسمى بزعيم القبيلة، أو الشيخ، أو السيد، وأحيانا يطلقون عليه الأمير، أو الملك، يتم اختيار هذا الشخص حسب المنزلة في القبيلة، والصفات والخصائص التي يتمتع بها هذا الشخص، هذا الزعيم القبلي له حقوق وعليه واجبات، وهذا النظام القبلي فيه مبدأ الحرية في كل شئ، فهي حرية دون قيود في كل جوانب حياتهم القبلية، حرية في الزواج، حرية في الطلاق، حرية في العمل، حرية في التعامل، وهذه الحرية يدافع عنها وينتصر لها الجميع لأي فرد من أفراد قبيلتهم، فكان شعارهم (انصر أخاك ظالما أو مظلوما)، وكثيرة هي الحروب التي وقعت بين القبائل وكان سببها الوقوف إلى جنب الظالم لا لشئ إلا لأنه ابن هذه القبيلة، فلا بد من أن تكون كافة وسائل النصرة والمساندة له مهما كان[٧].

هكذا كانت هي حياة العرب الدينية والاجتماعية والسياسية، تسود الأفكار، والمعتقدات، والعادات، والتقاليد الفاسدة المفسدة في كل جزئياتها، والتي جاء الإسلام فوضع لها حدوداً وأصولاً لا تتعداها، وجعل لها ضوابط وقواعد تسير على خطاها، حتى جعلها خير الأمم وأرقى البشر، ونقلهم من ظلمات الجاهلية وظلمها إلى نور الإسلام وعدله.

ويمكننا أن نجمل الوضع الذي كانت عليه العرب في كل جوانبها بكلمة الصحابي الجليل جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه أمام ملك الحبشة عندما هاجر المسلمون إليها حيث قال: ((أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية، نعبد الأصنام،

ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، يأكل القوى منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا، نعرف نسبه، وصدقه، وأمانته، وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نحن نعبد وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئا، وأمرنا بالصلاة، والزكاة، والصيام، قال فعدد عليه أمور الإسلام فصدقناه، وآمنا به، واتبعناه على ما جاء به، فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئا، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا))[8].

المبحث الأول

نزول الوحي وبداية الدعوة السرية

نذكر في هذا المبحث مختصرا لنزول الوحي على رسول الله ﷺ وبداية الدعوة بمرحلتها الأولى وهي الدعوة السرية، فكان هذا المبحث على مطلبين هما:

المطلب الأول: **نزول الوحي**.

المطلب الثاني: **الدعوة السرية**.

المطلب الأول

نزول الوحي

كان رسول الله ﷺ قد حببت إليه الخلوة بعيدا عن المجتمع المكي الجاهلي، فكان ﷺ يختلي وحده في غار حراء لأيام عديدة، يتدبر في هذا الكون العجيب، ويتفكر في ذلك المخلوق الضعيف (الإنسان)، ويفكر في ما آل إليه حال قومه من الفساد الديني، والسياسي، والاجتماعي، والأخلاقي، فكانت هذه العزلة وما رافقها من التفكر والتدبر كانت أولى بشارات وعلامات نبوته ﷺ، وما من شك أن هذا التعبد أمرٌ أراده الله تعالى له ليهيئه ويعده لحمل الأمانة الكبرى في التغيير والنهوض بهذه الأمة وقيادتها للعالم أجمع، ولما اكتمل عمره ﷺ الأربعين عاما كانت بشارات النبوة الأخرى تظهر في حياته ﷺ، فكانت الرؤيا الصادقة، فلا يرى رؤيا إلا جاءت وتحققت مثل فلق الصبح، حتى جاءه جبريل عليه السلام بأمر الله تعالى وبالرسالة والنبوة[9].

روى الإمامان البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح فكان يأتي حراء فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فتزوده لمثلها حتى فجئه الحق

وهو في غار حراء فجاءه الملك فيه فقال اقرأ فقال النبي ﷺ: (فقلت ما أنا بقارئ فأخذني فغظني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارئ فأخذني فغظني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارئ فأخذني فغظني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: ((اقرأ باسم ربك الذي خلق - حتى بلغ - علم الإنسان ما لم يعلم)). فرجع بها ترجف بوادره حتى دخل على خديجة فقال (زملوني زملوني). فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال (يا خديجة ما لي). وأخبرها الخبر وقال: (قد خشيت على نفسي). فقالت له: كلا أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق. ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي وهو ابن عم خديجة أخي أبيها وكان إمرأ تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العربي فيكتب بالعربية من الإنجيل ما شاء الله أن يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمي فقالت له خديجة: أي ابن عم اسمع من ابن أخيك. فقال ورقة ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره النبي ﷺ ما رأى. فقال ورقة: هذا الناموس الذي أنزل على موسى يا ليتني فيها جذعا أكون حيا حين يخرجك قومك. فقال رسول الله ﷺ: (أو مخرجي هم). فقال ورقة: نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا. ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي فترة حتى حزن النبي ﷺ فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا كي يتردى من رؤوس شواهق الجبال فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي منه نفسه تبدى له جبريل فقال: يا محمد إنك رسول الله حقا. فيسكن لذلك جأشه وتقر نفسه فيرجع فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك فإذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك"[10].

المطلب الثاني

الدعوة السرية

بعد نزول الوحي على رسول الله ﷺ مرتين، تيقن ﷺ انه أصبح نبي هذه الأمة، وبذلك بدأت وانطلقت دعوته ﷺ في مكة إلى الدين الجديد، وأمام ما كان ينتظره من التحديات والصعاب والطريق الشاق في تبليغه للرسالة في مكة، كان لا بد له أمام كل ذلك من أن يضع المراحل ويتدرج لإحداث التغيير الذي يريده على ارض الواقع، لذلك مرات دعوة الرسول ﷺ بصورتها العامة بمرحلتين رئيستين هما:

الأولى: هي مرحلة الدعوة السرية وهي موضوع بحثنا.

الثانية: هي المرحلة الجهرية.

وكانت مدة دعوته ﷺ ثلاثاً وعشرين عاماً، قضى منها ثلاثة أعوام في الدعوة السرية، وعشرين عاماً في الدعوة الجهرية.

المطلب الثاني

الدعوة السرية

بنزول قوله تعالى:((يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ(١)قُمْ فَأَنْذِرْ(٢)وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ(٣)وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ(٤)وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ(٥)وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ(٦)وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ(٧)).(١-٧: المدثر)

بنزول هذه الآيات الكريمة كانت بداية انطلاق الدعوة بمرحلتها الأولى وهي الدعوة السرية، حيث أمر الله تعالى نبيه ﷺ بترك النوم والراحة، والانطلاق في إنذار قومه والناس جميعا، ودعوتهم إلى الدين الجديد، وبذلك حصلت النبوة والرسالة له ﷺ، ثم أمره بتعظيم الله تعالى وإعلاء شأنه، ثم أمره بالابتعاد عن الغدر والمعاصي والآثام، فهذا الأمر من الله تعالى لرسوله ﷺ بان يطهر نفسه وثيابه وقلبه من كل شئ، ثم أمره بترك عبادة الأوثان وهجرها، ثم أمره بأن لا يعط شيئا ثم يمن به على الناس أو أن يطلب منهم اكبر وأكثر مما أعطاهم إياه، ثم نبهه تعالى إلى ما سيلقاه من قومه من المعارضة فأمره بالصبر على ذلك، وأن يجعل صبره واحتسابه في سبيل الله تعالى[١١].

وبعد أن فهم رسول الله ﷺ المراد من هذه الآيات وتصور معناها، بدأ العمل على تطبيق ما جاء فيها، فانطلق ﷺ يدعو الناس إلى الدين الجديد.

فكان أول ما بدأ به رسول الله ﷺ أمر الدعوة دعوة أهل بيته، فكان أول من آمن معه هي السيدة خديجة رضي الله عنها زوجته ﷺ، ثم آمن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكان في بيت النبي ﷺ حيث تربى في حجره ﷺ، ثم كان إسلام زيد بن حارثة رضي الله عنه، والذي كان مولى لرسول الله ﷺ وفي بيته، وقد تبناه ﷺ قبل أن يحرم هذا الأمر، ثم اسلم بعد ذلك بنات النبي ﷺ، وهن زينب وأم كلثوم ورقية وفاطمة رضي الله تعالى عنهم أجمعين[١٢].

ثم انطلق ﷺ بدعوته خارج بيته، فكان أول من اختاره لتحمل أعباء الدعوة معه من خارج أهله أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ثم انطلقوا جميعا يدعون من يرون فيه الخير، وانه يستجيب لما يريدون من أبناء المجتمع المكي الجاهلي، وانه على أتم الاستعداد لإخفاء هذا الأمر وكتمانه إلى أن يأذن الله تعالى بإظهاره، فأسلم في هذه المرحلة عدد لا بأس به، ومن مختلف بطون قريش حتى بلغوا أربعين شخصا، فكان من أول من أسلم على يد أبي بكر رضي الله عنه عثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيد الله[١٣].

ثم أسلم بعد ذلك أبو عبيدة بن الجراح، وأبو سلمة المخزومي، والأرقم بن أبي الأرقم المخزومي، وعثمان بن مظعون، وأخواه قدامة وعبد الله، وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب، وسعيد بن زيد بن الخطاب، وامرأته فاطمة بنت الخطاب، وأسماء وعائشة ابنتا أبي بكر، وخباب بن الأرت

الخزاعي، وعمير بن أبي وقاص أخو سعد، وعبد الله بن مسعود الهذلي، ومسعود بن ربيعة القاري الخزيمي، وسليط بن عمرو بن مخزوم، وامرأته أسماء بنت سلامة التميمية، وخنيس بن حذافة السهمي، وعامر بن ربيعة العنزي الكلبي، وعبد الله بن جحش بن خزيمة، وأخوه أبو أحمد، وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وامرأته أسماء بنت عميس، وحاطب بن الحارث بن معمر الجمحي، وامرأته فاطمة بنت المحلل، وأخوه خطاب بن الحارث، وامرأته فكيهة بنت يسار، ومعمر بن الحارث الجمحي، والسائب بن عثمان بن مظعون، والمطلب بن أزهر، وامرأته رملة بنت أبي عوف، والنحام نعيم بن عبد الله بن أسيد، وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر، وخالد بن سعيد بن العاص، وامرأته أمينة بنت خلف بن سعد، وحاطب بن عمرو، وأبو حذيفة مهشم بن عتبة بن ربيعة، وواقد بن عبد الله بن عبد مناف، وخالد وعامر وعاقل وإياس بنو البكير بن عبد ياليل، وعمار بن ياسر، وأمه سمية، وأبوه ياسر، وصهيب بن سنان بن مالك الرومي وكان مولى لعبد الله بن جدعان، وأبو ذر الغفاري، وأبو نجيح السلمي عمرو بن عبسة بن منقذ، ومازن بن مالك، وعتبة بن مسعود أخو عبد الله[١٤].

وخلال هذه المدة اختار النبي ﷺ دار الأرقم بن أبي الأرقم للقاء المسلمين الجدد، وكان هذا هو المكان الذي تلقى فيه الرعيل الأول الأوامر والتوجيهات من رسول الله ﷺ، كان بمثابة المدرسة الأولى التي تلقى فيها الصحابة أعظم الدروس من رسول الله ﷺ، وكانت هذه الدار على جبل الصفا[١٥].

ثم اخذ الناس من مختلف ألوانهم وأجناسهم يدخلون في هذه الدعوة الجديدة ويؤمنون بها، حتى فشا ذكر الإسلام بمكة، ثم أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يصدع بما جاءه منه، وأن يدعو إليه، وكان بين ما أخفى رسول الله ﷺ أمره واستتر به إلى أن أمره الله تعالى بإظهار دينه ثلاث سنين، ثم قال الله تعالى له : ((فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ)) (٩٤: الحجر).
وقال تعالى : ((وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ)). (٢١٤: الشعراء).
وبذلك انتهت الدعوة السرية وبدأت الدعوة الجهرية.

ذكر قصص بعض من أسلم

قصة إسلام أبي ذر الغفاري رضي الله عنه

عن أبي جمرة[١٦] قال: قال لنا ابن عباس رضي الله عنهما ألا أخبركم بإسلام أبي ذر؟ قال: قلنا بلى قال: قال أبو ذر كنت رجلا من غفار فبلغنا أن رجلا قد خرج بمكة يزعم أنه نبي فقلت لأخي انطلق إلى هذا الرجل كلمه وأتني بخبره فانطلق فلقيه ثم رجع فقلت ما عندك ؟ فقال والله لقد رأيت رجلا يأمر بالخير وينهى عن الشر فقلت له لم تشفني من الخبر فأخذت جرابا وعصا

ثم أقبلت إلى مكة فجعلت لا أعرفه وأكره أن أسأل عنه واشرب من ماء زمزم وأكون في المسجد قال فمر بي علي فقال كأن الرجل غريب ؟ قال قلت نعم قال فانطلق إلى المنزل قال فانطلقت معه لا يسألني عن شيء ولا أخبره فلما أصبحت غدوت إلى المسجد لأسأل عنه وليس أحد يخبرني عنه بشيء قال فمر بي علي فقال أما نال للرجل يعرف منزله بعد ؟ قال قلت لا قال انطلق معي قال فقال ما أمرك وما أقدمك هذه البلدة ؟ قال قلت له إن كتمت علي أخبرتك قال فإني أفعل قال قلت له بلغنا أنه قد خرج ها هنا رجل يزعم أنه نبي فأرسلت أخي ليكلمه فرجع ولم يشفني من الخبر فأردت أن ألقاه فقال له أما إنك قد رشدت هذا وجهي إليه فاتبعني ادخل حيث ادخل فإني إن رأيت أحدا أخافه عليك قمت إلى الحائط كأني أصلح نعلي وامض أنت فمضى ومضيت معه حتى دخل ودخلت معه على النبي ﷺ فقلت له اعرض علي الإسلام فعرضه فأسلمت مكاني فقال لي (يا أبا ذر اكتم هذا الأمر وارجع إلى بلدك فإذا بلغك ظهورنا فأقبل). فقلت والذي بعثك بالحق لأصرخن بها بين أظهرهم فجاء إلى المسجد وقريش فيه فقال يا معشر قريش إني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله . فقالوا قوموا إلى هذا الصابئ فقاموا فضربت لأموت فأدركني العباس فأكب علي ثم أقبل عليهم فقال ويلكم تقتلون رجلا من غفار ومتجركم وممركم على غفار فأقلعوا عني فلما أن أصبحت الغد رجعت فقلت مثل ما قلت بالأمس فقالوا قوموا إلى هذا الصابئ فصنع بي مثل ما صنع بالأمس وأدركني العباس فأكب علي وقال مثل مقالته بالأمس. قال فكان هذا أول إسلام أبي ذر رحمه الله[١٧].

قصة إسلام عمرو بن عبسة رضي الله عنه

عن أبي إمامة الباهلي يحدث عن حديث عمرو بن عبسة السلمي قال: (كنت وأنا في الجاهلية أظن أن الناس على ضلالة، وأنهم ليسوا على شيء وهم يعبدون الأوثان، فسمعت برجل بمكة يخبر أخبارا، فقعدت على راحلتي، فقدمت عليه، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مستخفيا جرءاء عليه قومه، فتلطفت حتى دخلت عليه بمكة، فقلت له: ما أنت؟ قال: «أنا نبي»، فقلت: وما نبي؟ قال: «أرسلني الله»، فقلت: وبأي شيء أرسلك، قال: «أرسلني بصلة الأرحام، وكسر الأوثان، وأن يوحد الله لا يشرك به شيء»، قلت له: فمن معك على هذا؟ قال: «حر، وعبد»، قال: ومعه يومئذ أبو بكر، وبلال ممن آمن به، فقلت: إني متبعك، قال: «إنك لا تستطيع ذلك يومك هذا، ألا ترى حالي وحال الناس، ولكن ارجع إلى أهلك فإذا سمعت بي قد ظهرت فأتني»، قال: فذهبت إلى أهلي وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، وكنت في أهلي فجعلت أتخبر الأخبار، وأسأل الناس حين قدم المدينة، حتى قدم علي نفر من أهل يثرب من أهل المدينة، فقلت: ما فعل هذا الرجل الذي قدم المدينة؟ فقالوا الناس: إليه سراع وقد أراد قومه قتله فلم يستطيعوا ذلك، فقدمت المدينة فدخلت

عليه، فقلت: يا رسول الله أتعرفني؟ قال: «نعم، أنت الذي لقيتني بمكة»، قال: فقلت: بلى))[١٨].

المبحث الثاني

الفقه المستفاد من الدعوة السرية وأسباب نجاحها

في هذا المبحث نحاول أن نستنبط الفقه المستفاد من مرحلة الدعوة السرية، ثم نحاول أن نخرج بأهم العوامل التي كانت سبباً في نجاحها، فالنبي ﷺ لم يكن يقوم بأي عمل أو تصرف إلا ويكون قد نظر للظروف المحيطة بالحدث، وعرف الأشخاص والمجتمع المرتبطة بذلك الحدث، لينطلق بعد ذلك وقد فقه أسس وضوابط وقواعد المرحلة ولتكون عوامل النجاح لها.

فكان هذا المبحث على مطلبين هما:

المطلب الأول: الفقه المستفاد من الدعوة السرية.

المطلب الثاني: أسباب نجاح الدعوة السرية.

المطلب الأول

الفقه المستفاد من الدعوة السرية

الدعوة السرية واحدة من أهم المراحل الدعوية التي مر بها الرسول ﷺ، فكان لا بد من أن يفقه الضوابط والمبادئ والأسس المهمة في هذه المرحلة ليعمل بها وهي:

أولا: فقه التدرج

النبي ﷺ يوم أن بدأ هذه الدعوة المباركة بمرحلة سرية، إنما أراد بذلك أن يضع قاعدة مهمة من قواعد العمل للدعاة في كل زمان ومكان، وهي قاعدة التدرج، وعدم الاستعجال، وعدم تقديم مرحلة على مرحلة، إلا بعد دراسة ودراية لما يمكن أن يخرج منه الداعية في كل مرحلة.

فالنبي ﷺ فقه بان الدعوة التي جاء بها، يجب أن تتدرج في مراحل عملها، فتبدأ بمرحلة سرية قد تطول وقد تقصر حسب الظروف المحيطة بها، ولها من أسباب نجاحها وعوامل كسبها ما لها.

ومع أن النبي ﷺ عمل بهذا المبدأ العظيم، وهذه القاعدة الرصينة وهي (التدرج)، ولكن مع ذلك فهذا لا يعني بان على الجماعات الإسلامية اليوم على اختلاف مسمياتها، ليس عليها أن تبدأ عملها الدعوي بمرحلة سرية، عليهم أن ينظروا إلى واقع الحال الذي يعيشون فيه، فان تطلب ذلك منهم العمل بمرحلة السرية، عملوا بها وإلا فلا حاجة لذلك، فالجماعات الإسلامية اليوم تختلف أحوالها وظروفها من بلد إلى بلد ومن مكان إلى آخر، فالبعض قد احتاج إلى فترة سرية يعمل بها، إلى أن تهيأت له الظروف المناسبة للظهور والإعلان

عن الدعوة، فيما تجد الجماعة نفسها أو جماعة أخرى قد لا تحتاج إلى السرية في بلد أو مكان آخر.

فإن أية دعوة تكون غريبة في المجتمع لا بد أن تواجه في أول أمرها الاستغراب والتوجس والشك، وتواجه الرد والرفض والاستنكار، وحتى المواجهة بكل وسائلها الممكنة، ومن ابرز الأعمال الحكيمة الجريئة التي كان يعملها المسلمون في مواجهة الغربة المحيطة بهم هو التدرج في فرض الدعوة باعتبارها أمرا واقعا في مكة لا يمكن تجاهله، واختطاط مجرى ثابت للإسلام[١٩].

وعدم الأخذ بالمرحلة السرية لا يعني التخلي عن قاعدة التدرج، فقد أصبحت هذه القاعدة واحدة من أهم قواعد الشريعة الإسلامية في جميع جوانب التشريع، ففي الأحكام الفقهية كان لقاعدة التدرج نصيب كبير في تحريم بعض ما كان جائزا في الجاهلية كتحريم الخمر، وفي أحكام الأسرة كذلك كان التدرج مبدأ أساسيا في إنهاء العلاقة الزوجية، قبل أن يصل الرجل إلى مرحلة الطلاق، وكان التدرج في تشريع الجهاد واضحا كذلك، وفي الدعوة لم يترك النبي ﷺ والصحابة العمل بهذا المبدأ العظيم، وخير مثال على ذلك عندما أرسل النبي ﷺ معاذ بن جبل إلى اليمن، حيث روى الإمام احمد عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذ بن جبل إلى اليمن قال: ((إنك تأتي قوماً أهل كتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله عز وجل افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة فإن أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله عز وجل افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد في فقرائهم فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله عز وجل حجاب))[٢٠].

ثانيا: فقه الحذر والحيطة

لقد كان المنهج النبوي في الدعوة السرية بكل أحداثها وتفاصيلها وتحركاتها هو الأخذ بمبدأ الحيطة والحذر، فما السرية التي رافقت الدعوة منذ أول انطلاقتها، وطريقة التحرك للمسلمين في هذه الفترة، وطريقة اختيار الأشخاص، والتعامل مع من يريدون عرض الإسلام عليه، إلا دليلا على العمل بمبدأ الحيطة والحذر، وهذا المبدأ لم يجعله الرسول ﷺ خاصا بتلك الفترة أو المرحلة السرية، وإنما هو أسس له في هذه المرحلة، ليكون مبدأ يسير عليه الدعاة في كل وقت، فالنبي ﷺ ربى أصحابه على ذا المبدأ ليعملوا به في كل شأن من شؤون حياتهم الدعوية والاجتماعية والسياسية وغيرها، فنجد النبي ﷺ في هذه المرحلة يختار دار الأرقم بن أبي الأرقم لتكون ملتقى وتجمعا للمسلمين الأوائل، ليكون وسيلة من وسائل الحذر والحيطة، ويختاره من بين العديد من بيوت كبار الصحابة في تلك الفترة من الدعوة، وقد ذكر

أصحاب السير والتاريخ العديد من الأسباب التي دعت النبي ﷺ إلى اختيار هذه الدار بالذات لتكون المدرسة الأولى للصحابة، من أهمها[21]:

١- أن الأرقم بن أبي الأرقم كان صغيراً حيث لم يتجاوز عمره السابعة عشرة، ولم تكن قريش تتصور أن يجتمع محمدٌ ﷺ في بيوت صغار الصحابة، وإنما كانوا يتوقعون أن يختار بيتاً من بيوت كبار الصحابة لما لهم من المنعة عند قريش.

٢- أن دار الأرقم كان بعيداً عن أماكن تجمعات قريش وأسواقها ولقاءاتها، حيث كان على جبل الصفا، مما يتيح فرصة اكبر لسهولة التحرك للمسلمين الأوائل، ومراقبة ما يحيط به، ورصد الطرق المؤدية إليه.

٣- أن الأرقم بن أبي الأرقم كان من بني مخزوم والنبي ﷺ من بني هاشم، وبين القبيلتين ثارات وصراعات وخلافات كبيرة جدا، فلم يتصور زعماء قريش أن يلجأ النبي ﷺ وهو من بني هاشم إلى دار رجل من بني مخزوم.

وهكذا نرى أن النبي ﷺ نجح في إبعاد تفكير قريش عن المكان الذي يختاره للاجتماع مع المسلمين، وهذا ما أكدته كتب السيرة والتاريخ من أنه لم تتعرض هذه الدار للمداهمة من قبل قريش طيلة فترة الدعوة السرية، في حين تعرضت بيوت الصحابة الآخرين إلى المداهمة عدة مرات بحثا عن مكان لقاء محمد ﷺ بأصحابه، وهذا كما قلنا يؤكد النجاح الكبير في حذر الرسول ﷺ والنجاح الباهر في اختياره لهذه الدار.

هذا المبدأ سار عليه النبي ﷺ في كل مراحل دعوته كما قلنا فاستعمله في الحرب والسلم، واستعمله في الهجرة، واستعمله في الإعداد والبناء للدولة الإسلامية، ونجده ﷺ يعلم أصحابه على السرية في الدعوة، وفي كل أمر من أمور حياتهم، وكان يدربهم على كتمان السر وعدم إفشاءه، ومن ذلك ما رواه الإمام مسلم عن أنس قال: ((أتى علي رسول الله ﷺ وأنا ألعب مع الغلمان، قال: فسلم علينا، فبعثني إلى حاجة، فأبطأت على أمي، فلما جئت قالت: ما حبسك؟ قلت: بعثني رسول الله ﷺ لحاجة، قالت: ما حاجته؟ قلت: إنها سر، قالت: لا تحدثن بسر رسول الله ﷺ أحدا))[22].

وكذلك ما فعله علي بن أبي طالب رضي الله عنه في قصة إسلام أبي ذر رضي الله عنه السابقة الذكر، كل ذلك يبين بوضوح الحفاظ على الدعوة وعلى الرسول رضي الله عنه من خلال الأخذ بمبدأ الحيطة والحذر.

فالكتمان والسرية باعتبارها من وسائل الحيطة والحذر تعتبر سياسة مصلحية في كثير من أمور الإسلام، في الحرب والسلم، في الوسائل والخطط، خاضعة للنظر والاجتهاد، ومن ذلك أن النبي ﷺ حتى بعد إعلانه للدعوة أبقى

كثيراً من الأمور والقضايا والمسائل المتعلقة بالدعوة وبالدولة بعد قيامها، أبقاها سرية لا تعلن إلا في وقتها المناسب[٢٣].

ثالثا: فقه التغيير

النبي ﷺ يوم أن جاء بالرسالة الإسلامية، وبالدعوة للدين الجديد، فانه كان يبتغي من وراء ذلك التغيير الشامل في حياة الإنسان، وحتى يستطيع أن يصل إلى الآخرين ويحدث فيهم التغيير المطلوب كان لا بد له أن يسير وفق أسس وقواعد محددة في التغيير، فإن من يريد التغيير قي مجتمع ما، فعليه أن يراعي أحوال ذلك المجتمع، بكل فئاته وأصنافه، فالدعوة الجديدة في المجتمع ستصطدم بعادة يعظمها المشركون، وهي ما وجدوا عليه الآباء والأجداد، واستنكار من يمس شيئاً من ذلك بسوء، بالقول أو الفعل، لذا كان أكبر طاغوت تحارب به الدعوات هو طاغوت التقليد والتبعية[٢٤].

لذلك كان رسول الله ﷺ قد فقه مراحل وقواعد وضوابط التغيير ومن أهم هذه القواعد هي:

١- تغيير النفس: كان لا بد له قبل أن يدعو أي شخص إلى دين الله أن يكون هو قد وقع عليه التغيير الذي يؤهله لخوض غمار هذه الدعوة المباركة، وقد هيأ الله تعالى لنبيه التغيير الكامل في نفسه أولا، فكانت حياته ﷺ مختلفة عن حياة أقرانه من شباب مكة، فلم يكن يقضي أيامه ولياليه في اللهو واللعب والسمر كما يفعل الآخرون، وإنما هيأ الله تعالى له الخلوة في غار حراء أياما وليالي عدة، يتفكر في هذا الكون وفي الإنسان وخالقه، حتى جاءه جبريل عليه السلام بالرسالة، بعد أن أصبح مهيئا تماما لحملها.

٢- تغيير أهل بيته: ثم بعد ذلك بدأ رسول الله ﷺ في التغيير بأهل بيته، فكان أول من أسلم معه زوجه السيدة خديجة رضي الله عنها، بعد أن سمعت منه أمر جبريل عليه السلام، فكانت خير معين له في حياته الدعوية، وكانت ممن يضرب بها المثل في المرأة الصالحة، ودورها في نجاح الدعوة.

ثم بدأ ببناته ﷺ فأسلموا جميعا، ثم بعلي بن أبي طالب ابن عمه، والذي كان تحت رعايته ﷺ، وفي بيته، فاسلم مع النبي ﷺ، ثم اسلم مولاه زيد بن حارثة رضي الله عنه، فكان بيت النبي ﷺ أول بيت دخله الإسلام، وبهذا استطاع النبي ﷺ أن ينطلق في دعوته خارج بيته، لان إسلام أهل بيته كان واحداً من أهم عوامل القوة التي ساندته في دعوته، فكان يلجأ إليهم إذا رده الناس، ويحتمي بهم إذا طارده الناس، فكان بيته ﷺ المقر الآمن لدعوته أول أمرها[٢٥].

لقد كانت خديجة رضي الله عنها وزيرة صدق للنبي، ومسرّية عنه ما يجده من قومه، لا يسمع شيئا يكرهه من ردّ عليه، وتكذيب له، فيحزنه ذلك إلا فرّج الله عنه بها، إذا رجع إليها تثبته، وتخفف عنه، وتصدقه، وتهوّن عليه أمر

الناس، وهكذا كانت تصل إلى شغاف قلبه بعطفها، وحبها، وتزيل عنه آثار الأذى بيديها، وتمسح ما عسى أن يكون علق بنفسه من الناس بحديثها المؤمن العذب[٢٦].

وبإسلام أهل بيته جميعا تكونت جماعة متآلفة، تجعل حركة الحياة والدعوة في إطارها سهلة ميسرة، وهذا من فضل الله تعالى على نبيه ﷺ، ليقوم بمهام الرسالة على وجهها، ولترفرف السعادة على محمد ﷺ، وفي بيته الكريم[٢٧].

٣- تغيير المجتمع: بعد ذلك خرج رسول الله ﷺ إلى الناس في مكة، يدعوهم إلى الإسلام، لكنه ﷺ لم يقف في أسواقهم ونواديهم ويصيح بأعلى صوته، إنما كانت دعوته ﷺ فردية انتقائية، كان لا بد أن يبدأ بأقرب الناس إليه بعد أهل بيته، وأكثرهم ثقة عنده، من يأمنه على نفسه إذا لم يسلم، وقادرا على كتمان سر هذه الدعوة إذا هو أسلم، فكان أول من اختاره النبي ﷺ ليعرض عليه الأمر صاحبه أبو بكر الصديق رضي الله عنه، والذي كان يتصف بعدد من الصفات والأخلاق التي جعلته مؤهلاً لهذا الاختيار، فكان اختيارا صائباً حيث أسلم أبو بكر رضي الله عنه، ثم انطلق مع رسول الله ﷺ لدعوة الناس إلى هذا الدين الجديد.

نعم هكذا يجب أن يكون منهج الدعاة في التغيير اليوم، عليهم أن يبدأوا بأنفسهم أولا، ثم يعطوا لأهل بيتهم نصيبا من هذا التغيير قبل أن ينطلقوا إلى المجتمع، على الدعاة اليوم أن يجعلوا لبيوتهم أهمية خاصة في الدعوة والتغيير، وأن لا ينشغلوا بدعوة الآخرين قبل بيوتهم، فالبيت هو أول ميدان من ميادين الدعوة، فإذا ما نجح الداعية في هذا الميدان، لا شك أن ذلك يعطيه قوة ومنعة ودافعا للنجاح في باقي الميادين، مهما واجهته من صعوبات ومعارضة[٢٨].

وهذا ما ربى عليه النبي ﷺ أصحابه، وهذا ما نلاحظه من خلال مراجعتنا لأسماء الصحابة الذي اسلموا في هذه المرحلة من الدعوة، فلا نكاد نجد رجلا اسلم إلا ومعه امرأته، وأخوته وأبنائه، فهذا أبو بكر بعد أن أسلم يسلم مع بناته، وهذا عثمان بن مظعون يسلم معه ابنه السائب وأخوته، وخالد بن سعيد بن العاص تسلم معه زوجته، وأبو سلمة تسلم معه زوجه أم سلمة، وسعيد بن زيد تسلم معه زوجه فاطمة بنت الخطاب، وهكذا باقي الصحابة رضي الله عنهم.

إن التغيير الذي قاده النبي ﷺ بمنهج الله تعالى بدأ بالنفس البشرية، وصنع الرجال العظماء، ثم انطلق بهؤلاء الرجال لإحداث أكبر تغيير في المجتمع، فنقل الناس من الظلمات إلى النور، ومن الجهل إلى العلم، ومن التخلف إلى التقدم، فأنشأ أروع حضارة، وأعظم دولة عرفتها الإنسانية، لقد قام النبي ﷺ بمنهجه الرباني بتغيير في العقائد، والأفكار، والتصور، والأخلاق في نفوس أصحابه[٢٩].

رابعا: فقه الاحتواء

واحدٌ من أهم المبادئ والأسس التي قامت عليها الدعوة السرية هو مبدأ فقه الاحتواء، وهو مبدأٌ مهم في احتواء المواقف والمراحل والأشخاص الذين تبنى وتنهض عليهم الدعوة، فالدعوة التي جاء بها محمد ﷺ كانت في مكة، وكانت قريش تدين بالأوثان، وتعبد الأصنام، وكانت السيادة على العرب لهم، ولم يكن من السهل إقناع أولئك الزعماء بالتخلي عن قيادتهم للعرب، وزعامتهم لمكة، فكان لا بد من استخدام مبدأ الاحتواء في تلك المرحلة دون الاصطدام مع تلك الزعامة النفعية ومغرياتها المادية، وآثار الآباء والأجداد، فكانت السرية في الدعوة هي مرحلة الاحتواء للمكان والزمان، لتهيئة الظروف المناسبة لإعلان الدعوة.

وأصبح هذا المبدأ العظيم (الاحتواء) واحداً من أهم المبادئ والأسس التي قامت عليها دعوة الرسول ﷺن في تعامله مع الآخرين، فكان الاحتواء المبدأ الذي استخدمه النبي ﷺ في إدارة المواقف والأزمات الداخلية والخارجية، فبعد الهجرة استطاع النبي ﷺ أن يحتوي الأزمة المادية التي تعرض لها المهاجرون بعد الهجرة إلى المدينة بتأسيس مبدأ المؤاخاة، واستطاع أن يحتوي المفاوض من المشركين في صلح الحديبية بمعرفته لشخصيته، والتصرف على أساس ذلك، واستطاع أن يحتوي الموقف في حادثة الإفك، وفي انسحاب عبد الله بن أبي سلول بثلث الجيش في غزوة أحد، وغيرها كثير.

خامسا: فقه التنوع وعالمية الدعوة

في هذه المرحلة المهمة من مراحل الدعوة، والتي تعتبر كما قلنا مرحلة التأسيس والبناء، نجد النبي ﷺ يعمل بمبدأ التنوع في كسب الأشخاص إلى هذه الدعوة، فنجده ﷺ يكسب الرجل وامرأة، والسيد والعبد، والشيخ والشاب، والغني والفقير، والشاعر والخطيب، والتاجر والعامل، فضلاً عن ذلك نجد الرسول ﷺ يختار التنوع العشائري، فلا يقف عند عشيرة واحدة، بل يتجاوز بهذه الدعوة إلى جميع بطون قريش في مكة، ولا يقف ﷺ عند هذا الحد، بل يتعدا بهذه الدعوة إلى خارج مكة.

إن هذا التنوع له أهمية كبيرة في الدعوة، وهو ميزة لها، فالعشائر جميعها قد انتشر الإسلام فيها على قدر من المساواة، إذ لا فرق في الإسلام بين قبيلة وقبيلة، أو عشيرة وأخرى، ولا بين ذكر وأنثى، أو غني وفقير، أو حر أو عبد، لا فرق بين التاجر والعامل، ولا بين الشيخ والشاب.

ويمكننا القول أن انتشار الإسلام في هذه المرحلة في جميع بطون قريش كان بصورة يمكن أن نقول عنها أنها كانت متوازنة إلى حد كبير، لأنه لم يكن للدعوة ثقل كبير لأي قبيلة من قبائل قريش، وبالرغم من أنها أفقدت

الإسلام الاستفادة الكاملة من القبيلة، والتي يمكن أن تكون في هذا الوقت سندا ومعينا لحماية الدعوة والحفاظ عليها وعلى رجالها، لكنها في الوقت نفسه لم تدفع العشائر الأخرى إلى التحريض ضد الدعوة، بحجة أنها تحقق مصالح عشيرة أو قبيلة بعينها، فهذا التنوع في الانفتاح بطريقة متوازنة على عشائر قريش المختلفة كان من أفضل الأسباب في انتشار الإسلام، دون أي تحفظ قد يرتبط بالعصبية القبلية، وانعكس هذا الأمر كذلك على خروج الإسلام حتى خارج قريش وخارج مكة، فالدعوة الجديدة لم تكن حكرا على احد بعينه، ولا على مكان معين أو قبيلة معينة، وإنما هي دعوة عالمية[٣٠].

وعالمية الدعوة هو واحدة من أهم خصائصها، فهي دعوة صالحة لكل إنسان، وفي كل زمان ومكان، وهذا ما أكده النبي ﷺ في هذه المرحلة من الدعوة، حيث استطاع أن يكسب العربي والفارسي والرومي والحبشي ، ومن العرب استطاع أن يكسب من أهل مكة ومن خارجها من العرب، فاسلم في هذه المرحلة صهيب الرومي، وسلمان الفارسي، ومن العرب من خارج مكة، أسلم أبو ذر الغفاري، وضماد بن ثعلبة الأردي، وعبد الله بن مسعود الهذلي، والطفيل بن عمرو الدوسي، وعمرو بن عبسة السلمي، ومسعود بن ربيعة القاري، وعمار بن ياسر العنسي وأبوه وأمه، ووان كان بعضهم حليفا لبعض العشائر في قريش، فهذا لا يمنع أن يكون دافعا للانطلاق في عشائرهم الحقيقية خارج مكة، ليقول للجميع بان هذه الدعوة من أول يومها هي دعوة عالمية، هي ليست خاصة بمكان أو عشيرة، ليس خاصة بمكة وحدها، ولا بقريش وحدها كما يدعي البعض، ممن نصبوا العداء لهذه الدعوة المباركة ليقللوا من أهمية الدين الجديد، هي دعوة عالمية موضوعها الإنسان كيفما كان ومن كان، وميدانها الأرض كلها، ومهمتها إصلاح البشرية في جميع جوانبها الفردية والاجتماعية[٣١].

إن من أسلم من خارج مكة في هذه المرحلة عدد لا بأس به، واستطاعوا أن ينشروا الإسلام خارج مكة، فالإسلام بالتعبير المعاصر هو إسلام أممي، كل من دخل في الإسلام فهو منا ونحن منه، وكل من دخل في الإسلام له ما لنا وعليه ما علينا[٣٢].

وبالعودة إلى تنوع العمر، ومن خلال النظر إلى عامل السن، نجد أن اغلب الصحابة الذين اسلموا في هذه الفترة كان من الشباب، فعلي اسلم وعمره لم يتجاوز ألاثني عشر عاماً على أغلب الأقوال، والزبير يوم أسلم كان عمره ستة عشر عاماً، وطلحة كان عمره ثلاثة عشر عاماً، وسعد سبعة عشر عاماً، وأخوه عمير لم يبلغ العاشرة، والسائب بن عثمان بن مظعون كان عمره سبعة عشر عاماً، وواقد وعبد الله بن مظعون كان في بدايات العشرين، والأرقم بن أبي الأرقم كان في السادسة عشرة، وسعيد بن زيد في الرابعة عشرة، وجعفر بن أبي طالب كان في العشرين، وهكذا كانت تتراوح أعمار اغلب الصحابة في هذه المرحلة المهمة.

ومن هنا نقول انه على الجماعات الإسلامية اليوم أن تنظر إلى هذه الفئة المهمة من المجتمع برعاية أكبر، وخصوصية أكثر من غيرها، وأن تعد البرامج والخطط الجدية والطويلة لتربية وتكوين قدرات الشباب، ليكونوا مؤهلين لخوض غمار المعارك بكل أصنافها مع العدو.

إن التركيز على فئة الشباب في هذه المرحلة لم يكن أمراً عشوائيا من رسول الله ﷺ، وإنما كان مقصودا ومخططا له، فقد كان للنبي ﷺ مقصد مهم في استهدافه لفئة الشباب، واعتماده عليهم في هذه المرحلة الحرجة من مراحل الدعوة، ويعود ذلك إلى كون هؤلاء الشباب لم يمض عليهم وقت طويل في عبادة الأصنام، ولم يتمسكوا بقوة بآثار الآباء والأجداد، ولم يستميتوا في الدفاع عنها بعد، على عكس الشيوخ الذين أصبحت عندهم عادات وتقاليد يدافعون عنها، ومن ثم فإن الكلام سيكون مؤثراً في الشباب أسرع من الشيوخ، وإقناعهم أيسر بكثير من الشيوخ، فهم لم تتلوث عقولهم بأفكار الجاهلية، فيتقبلون فكرة الإسلام، والدعوة الجديدة بسهولة أكبر، كما أن الشباب بصورة عامة عندهم هواية إتباع كل جديد، ولهذا نجد اليوم أكثر المقلدين لكل جديد هم من الشباب، مهما كان ذلك الجديد، والسبب الآخر والمهم في تركيز الرسول ﷺ على الشباب في هذه المرحلة، أن الله تعالى أعطاهم حماسةً واندفاعاً ونشاطاً عالياً جداً، فهم لا يعرفون شيئاً اسمه صعب أو مستحيل، ومستعدون لخوض غمار الحياة وصعوباتها، وحمل الدعوة الجديدة يحتاج إلى عزيمة الشباب[٣٣].

وكذلك من أسباب استهداف الشباب أن الدعوة تحتاج إلى الديمومة والاستمرارية، ولو كان أغلب الرعيل الأول من كبار السن لكانت صعوبة في ذلك، فمن خلال مراجعتنا لأسماء الصحابة الكبار عمراً الذين أسلموا في هذه المرحلة نجد أن عدداً لا بأس منهم قد توفي في أوائل الدعوة، كعبيدة بن الحارث، والمطلب بن أزهر، وحاطب بن الحارث، ويمكننا أن نضيف لهم أبا سلمة الذي توفي في السنة الثالثة من الهجرة، وأبا بكر الصديق الذي توفي في الثالثة عشر من الهجرة وغيرهم رضي الله تعالى عنهم أجمعين، وهذا كله يؤكد ما ذهبنا إليه.

كل ذلك جعل التركيز على الشباب واضحا أول الأمر، وليس معنى هذا أن الشيوخ ليس لهم مكان في الإسلام، فالإسلام كما يحتاج إلى عزيمة وحماس الشباب، هو يحتاج كذلك إلى حكمة وعقل الشيوخ، والنبي ﷺ فقه الحاجة إلى هذا التنوع فعمل به، ولكننا للأسف إذا ما نظرنا إلى شبابنا اليوم، فإنهم طاقات معطلة في زماننا، فلو وقفنا مع الشباب ومنحناهم الوقت والتربية والجهد، فلا شك أننا سنأخذ منهم، ونستفيد من قدراتهم، كما اخذ واستفاد رسول الله ﷺ.

والتنوع الآخر هو تنوع الجنس فالنبي ﷺ كما عمل على كسب الرجل والاستفادة منه، عمل كذلك على كسب المرأة' والاستفادة منها، فهي مربية الأجيال، وعلى عاتقها يقع دور كبير في المجتمع الإسلامي، وقد كان للمرأة دور مهم في الدعوة أول أمرها فأول من اسلم مع النبي ﷺ كانت السيدة خديجة رضي الله عنها، أسلمت من أول يوم، واستشارها النبي ﷺ في أمر الوحي أول

نزوله، فأشارت عليه بالذهاب إلى ورقة بن نوفل ابن عمها، وكانت خير مشورة، وبدأت مشوارها في الدعوة من تلك اللحظة مع رسول الله ﷺ في التغير والبناء في ذلك المجتمع المكي، ولم يقتصر دور المرأة على هذا فحسب، بل كانت لها أدواراً رئيسة في صناعة أحداث السيرة النبوية من أول يوم انطلاقتها والى يومنا هذا، فكانت داعية، وكانت تلاقي ما يلاقي الرجل من الاضطهاد والتعذيب والمطاردة، وشاركت الرجل في الهجرة إلى الحبشة والمدينة، وشاركت الرجل في الجهاد، وكانت تتعلم وتُعلم، فكانت بحق على قدر المسؤولية التي أنيطت بها فاستحقت التكريم والإعزاز.

إن الدعاة الكبار إلى الله عز وجل إذا ما أرادوا تغييرا جذريا في المجتمع الذي يعيشون فيه، فإنهم لا شك سيواجهون معارضة كبيرة، ومن حكمة الله تعالى أن يخصهم بامرأة صالحة تقف إلى جانبهم، تخفف عنهم أعباء هذه المواجهة، من تكذيب الناس لهم، والمؤامرات التي تحاك ضدهم، فالإسلام جعل من المرأة مساوية للرجل في التكليف وفي التشريف وفي المسؤولية[٣٤].

أما العبيد فقد سارع عدد منهم إلى اعتناق الإسلام لما رأوا فيه من عقيدة كاملة، ترضي العقل، وتشبع النفس، وتحقق للجميع الحرية والمساواة، في إطار الأخوة الدينية التي تؤكد على أن الناس سواسية لا يفضل أحدهم أخاه إلا بالتقوى، وجزاء الجميع عند الله تعالى، وإذا كان الله تعالى قد قضى بان يدخل عدد من الرقيق في هذه الدعوة من أولها، فان هذا العدد لم يكن كبيرا مقارنة مع عدد العبيد الكبير الذي كان في مكة في تلك الفترة، ومقارنة كذلك مع عدد من دخلوا الإسلام، حيث لم يتجاوزوا الثلاثة عشر من مجموع ما يقارب على أربعين شخصاً أو يزيد أسلموا في تلك الفترة، ولا شك أن من أثر إسلام هؤلاء أن الدعوة نمت على سنة البشر في التطور والتقدم، وليعلم المسلمون دائما حاجتهم الملحة للصبر والتحمل، ومواجهة الطغيان بالعفو والتسامح، وهنا لا بد من بيان أمر مهم، وهو أن ضعف هؤلاء كانت في الجانب المادي فقط، أما في الجانب المعنوي فكانوا هم الأقوياء، وهم العقلاء، فقد دخلوا في الإسلام مخالفين أسيادهم، ولم يعبئوا بأي أذى ينالهم، وتحملوا -صابرين- كل ما أصابهم من ظلم وعدوان، وصل أحيانا إلى حد القتل والفناء[٣٥].

سادسا: فقه الحفاظ على النفس

مبدأ الحفاظ على النفس عموما، وعلى دماء المسلمين خصوصا، واحدٌ من أهم المبادئ التي وضع قواعدها وأسس لها الرسول ﷺ في هذه المرحلة المهمة من حياة الدعوة، فقد كان النبي ﷺ قادرا على أن تكون دعوته من أول يوم انطلاقها دعوة علنية، ولكنه ﷺ كان يفقه جيدا ماذا يعني ذلك بالنسبة للمسلمين، لقد فقه النبي ﷺ بان ذلك يعني القضاء على رجال الدعوة من أول يوم، مما يؤدي إلى ابتعاد الناس عن مجرد التفكير في الدعوة الجديدة، أو الانضمام إليها، لذلك حرص النبي ﷺ على الابتعاد عن المقاتلة والمواجهة المسلحة مع المشركين في هذه الفترة الحرجة من عمر الدعوة، ولعل السبب وراء ذلك[٣٦]:

١-تربية الرعيل الأول على الصبر على الظلم الذي يقع عليهم، لأنهم قد عاشوا في بيئة الثار والانتقام، وعدم القبول بالاعتداء عليهم، أو أي تجاوز على أبسط حقوقهم أو ممتلكاتهم.
٢-عدم الابتعاد أو الانشغال عن الفكرة الرئيسة من الإسلام، وهي الدعوة، فالثارات والدماء التي يمكن أن تسيل في مكة لو حصلت أي مواجهة ستكون سببا في تحول الدعوة عن هدفها الحقيقي، إلى إثارة الفتن والضغائن والاقتتال في البيت الواحد والعشيرة الواحدة، وبين الأخ وأخيه، أو الابن وأبيه.
٣-محاولة النبي ﷺ في احتواء الأشخاص الذي لم يسلموا، وفي الوقت نفسه لم يعلنوا عدائهم أو اضطهادهم للمسلمين، وذلك من خلال رفض هؤلاء للظلم الذي يقع على المسلمين من قبل مشركي مكة، خصوصا أن هذا المجتمع كان يرفض الظلم والضيم.
٤-أن العرب كانت تعظم أهل بيت الله، لقيامهم عليه، وتنافسهم في قضاء حوائج قصاده من الطعام والشراب وغيره، وهذه الأعمال كانت تقوم بها قريش، فكانت العرب تنظر إليهم نظرة تعظيم وتقديس، لذا كانت المواجهة مع قريش في هذه المرحلة تعني فقدان دعم أو على الأقل تحييد موقف القبائل العربية الأخرى، لأنها كانت ستقف إلى جانب قريش، وليس أدل من ذلك إنصراف العرب عن الدعوة عند إعلانها بسبب محاربة قريش لها.

ومن ذلك ما روي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ لبث عشر سنين يتبع الحاج في منازلهم في الموسم وبمجنة وبعكاظ، وبمنازلهم بمنى يقول: ((من يؤويني، من ينصرني حتى أبلغ رسالات ربي وله الجنة؟)) فلا يجد أحدا ينصره ويؤويه، حتى إن الرجل يرحل من مضر، أو من اليمن، إلى ذي رحمه، فيأتيه قومه، فيقولون: احذر غلام قريش لا يفتنك، ويمشي بين رحالهم يدعوهم إلى الله عز وجل يشيرون إليه بالأصابع، حتى بعثنا الله عز وجل له من يثرب، فيأتيه الرجل فيؤمن به، فيقرئه القرآن، فينقلب إلى أهله، فيسلمون بإسلامه، حتى لم يبق دار من دور يثرب إلا فيها رهط من المسلمين يظهرون الإسلام[٣٧].

٥-إن الله تعالى قادر على أن يحفظ رسوله ﷺ من أي أذىً قد يصيبه إذا ما بدأ دعوته بالإعلان، ولم يبدأ بالمرحلة السرية، لكنه تعالى أراد أن يعلم الرسول ﷺ، وأن يعلم أصحابه وأمته من بعده منهج التغيير في مختلف الظروف، كيف يمكن لم يأتي بعد وفاة الرسول ﷺ أن يغير إذا حصلت معه الظروف نفسها؟ كيف يمكن له أن يتصرف؟ الله تعالى وضع الرسول ﷺ في جميع الظروف التي يمكن أن تمر بها أمته بعد وفاته ﷺ، وعلم الرسول ﷺ كيف يتعامل مع كل حدث، وكيف يصل بدعوته إلى الناس في ظل وجود المعوقات التي تواجه الدعوة.

إذن النبي ﷺ فقه مصلحة الحفاظ على النفس، لتبقى بذلك قانونا يسمى (التدافع) فيُدفع الكفر بالإسلام، ولكن مواجهة الكفر مع انعدام الإمكانية اللازمة لذلك من العدد، والعدة، والتربية، والعقيدة الصحيحة، والنفوس المخلصة، فان ذلك لا شك يؤدي إلى القضاء على المسلمين، وخلو الساحة

للكفار، وينتهي بذلك قانون (التدافع) الذي يؤدي إلى رفع الفساد والكفر من الأرض[٣٨].

وبذلك استطاع الرسول ﷺ أن يحافظ على الدعوة، من خلال المحافظة على أرواح المسلمين، حتى أصبح حفظ الدماء واحدا من الضروريات التي جاء بها الإسلام.

ومن هنا على الدعاة اليوم أن يفقهوا هذا الأمر جيدا، فهم مطالبون في كل وقت بالحفاظ على أنفسهم، وعلى حياتهم، لا لخوفهم من الموت، فالموت في سبيل الله غاية، ولكن حفاظا على الدين، وعلى استمرار المسيرة الدعوية[٣٩].

وكذلك على الداعية اليوم أن يفرق بين أمرين مهمين: بين الحفاظ على الدعوة، وبين الحفاظ على النفس، فبين الحفاظ على النفس وبين الجبن خطوة، فإذا كانت المرحلة تتطلب المحافظة على النفس، فلا يعني هذا أن لا يقول الداعية كلمة الحق، ولا يدعو إلى الله، مما يؤدي إلى ضياع الدعوة، وعدم المحافظة عليها، فعلى الداعية أن يكون حكيماً في إتباعه لرسول الله ﷺ، فلا يكون جباناً لا يريد أن يحمل هم الدعوة[٤٠].

سابعا: فقه الإعداد والبناء

قلنا في الفقرة السابقة أن النبي ﷺ أبعد المسلمين في هذه المرحلة عن المواجهة العسكرية، أو الاقتتال مع مشركي مكة، ومن أسباب ذلك هو التفرغ لتوجيه الجهود لتربية وبناء الفرد المسلم الجديد تربية دينية إيمانية عقائدية، تجعله قادرا على مواصلة المسير، والاستمرار في الدعوة، والثبات أمام العقبات التي تواجهه.

لذلك اخذ النبي ﷺ على عاتقه بناء الرعيل الأول، الذي سيكون على عاتقه الحمل الثقيل في الدعوة الجديدة، وهو عارف بما ستواجهه هذه الدعوة، من مختلف أساليب وأصناف المواجهة، فكان لا بد أن يُعِدَ العُدةِ لها.

لذلك عمل النبي ﷺ أولا على بناء العقيدة الصحيحة في نفوس المسلمين الجدد، بتوحيد الله تعالى، والإخلاص له، والإيمان باليوم الآخر، وبالقدر، وبالأنبياء والرسل جميعا، والكتب السماوية، فكان له أكبر الأثر في تقوية قلوبهم، وإصرارهم على الثبات أمام أساليب القهر والاضطهاد التي واجهتهم من قبل قريش، لما كانوا يؤمنون بأن الله تعالى الذي خلقهم، وآمنوا به، هو الذي وعدهم بالثواب الجزيل في الآخرة على صبرهم، وبعقاب المعاندين المخالفين لأمر الله تعالى، وان العاقبة للمتقين.

لقد استطاع رسول الله ﷺ أن يبث في هذا الجيل روح الإسلام بعزته وكرامته، ومنحهم من الاستعلاء بالإيمان كل ما يجعلهم قدوة للأجيال التي بعدهم في الصبر، والتحمل، والثبات على الدين، وغرس في قلوبهم من الإيمان بالآخرة ونعيمها ما جعل الدنيا عندهم زهيدة، يبذلونها رخيصة في سبيل الله والدعوة[٤١].

إن تركيز الرسول ﷺ في هذه المرحلة على التربية العقائدية أولا، ذلك لأن كان يفقه بأن إصلاح العقيدة، والتربية عليها، هي الأرض الصلبة التي

تقام عليها صروح الارتقاء بالفكر، والروح، والأخلاق، ومنها تنطلق مسيرة الإنسان من أجل التوافق والانسجام مع المجتمع في الحياة، وأن أي خلل في هذه القاعدة ستظهر آثاره في الفكر، والسلوك، والنفس، والعلاقات مع الآخرين، وتؤدي إلى أن يصاب المجتمع بالفتور، والاضطراب، بل إن الاختلال في التربية العقائدية يعد أول بذور الانحراف وأخطرها، وعلى العكس، يعد إصلاحها من أقوى وأهم عوامل الاستقرار، والتماسك، والقوة في المجتمع، لذا نلاحظ أن المرحلة المكية بصورة عامة، ومرحلة الدعوة السرية منها بصورة خاصة قد أخذت الأولوية في الإصلاح والتربية العقائدية، لأنه المرتكز القاعدي لعملية التغيير المرجوة في النفوس، والعلاقات، والمواقف، وجميع أنظمة الحياة القائمة آنذاك[٤٢].

يقول سيد قطب رحمه الله: ((لقد شاءت حكمة الله أن تكون قضية العقيدة هي القضية التي تتصدى لها الدعوة منذ اليوم الأول للرسالة، وان يبدأ رسول الله ﷺ أولى خطواته في الدعوة بدعوة الناس أن يشهدوا أن لا اله إلا الله، وأن يمضي في دعوته يُعَرف الناس بربهم الحق، ويُعَبِّدَهم له دون سواه))[٤٣].

وفضلاً عن التربية العقائدية كان هناك الإعداد العلمي والسلوكي، والإعداد في مختلف الجوانب الأخرى.

فالإعداد العلمي كان يعني التفقه في الدين، ومعرفة الصحيح من الخطأ، فيكون المسلم بذلك عارفاً إلى أية دعوة ينتمي، وبماذا يدعو، ومن يدعو، ويعرف كذلك المسائل المتعلقة بالجهاد، لماذا يجاهد، وما هي غاية الجهاد، وكيف يجاهد، ومن يجاهد، ومتى، كل هذه الأمور هي أساس التسلح بالعلم والتفقه في دين الله تعالى[٤٤].

وأما الإعداد السلوكي فهو أن تكون دعوتهم، وجهادهم، وعملهم، وعبادتهم، وطاعتهم، كل ذلك يكون خالصاً لوجه الله تعالى، لا يبتغون من وراءه جاهاً، أو منصباً، أو مالاً، أو زعامةً، أو أي شئ، سوى رضا الله تعالى، والفوز بالجنة، وهذا كله لا يكون إلا بتقوية الصلة بالله تعالى، وإخلاص النية له، وأن تكون التصرفات والأفعال منطلقة من أصولِ وقواعدَ الشريعة، وليست من ردود الأفعال[٤٥].

لقد نجح النبي ﷺ في بناء الفرد وإعداده، حتى جعله ثابتا على المبادئ، ويرفض أي مساومة عليها، أو تنازل عنها، حتى في أصعب الظروف وأشدها، وخير دليل على ذلك ما تعرض له الصحابة من الترغيب والإغراءات والمساومات، والتعذيب، والاضطهاد، والتشريد، من كفار مكة، كل ذلك من أجل ترك هذه الدعوة، لكنها باءت بالفشل.

ثامناً: فقه الأخذ بالأسباب

يعد مبدأ الأخذ بالأسباب واحدا من أهم المبادئ التي فقه النبي ﷺ أهميتها في هذه المرحلة، فعمل بها، مع استكمالها بالتوكل على الله، فبدأ دعوته بالسرية، واختار دار الأرقم، ووضع الخطط اللازمة لهذه المرحلة، ونظم حركة المسلمين الجدد، وإدارة الدعوة في جميع مراحلها، كل ذلك كان أخذا بالأسباب من اجل الوصول بالدعوة في هذه المرحلة إلى بر الأمان، واجتياز

المرحلة بنجاح دون عوائق أو مشاكل، ومع هذا كله لم ينس النبي ﷺ التوكل على الله، وهكذا أسس ﷺ لهذا المبدأ العظيم حتى أصبح يعمل به في كل مرحلة أو موقف يمر في مسيرته الدعوية، ففي الهجرة أخذ بالأسباب وأعَدَ العُدَةَ اللازمة، ووضع الخطة الصحيحة، واختار الأشخاص الأكفاء المناسبين، ويوم أن وقف المشركون على الغار لم ينس التوكل على الله، فقال ﷺ مقولته المشهورة لأبي بكر رضي الله عنه: ((ما ظنك باثنين الله ثالثهما))[٤٦].

وكذلك أخذ ﷺ بالأسباب في جميع غزواته، وفي إدارته لشؤون الدولة، ففي غزوة بدر أخذ برأي الصحابة في النزول بماء بدر، وأخذ برأيهم في قصة الأسرى، وتنظيم الجيش وإرسال من يجلب له أخبار العدو، كل ذلك كان من الأخذ بالأسباب.

فالأخذ بالأسباب لا ينافي التوكل، فسيد المتوكلين ﷺ قد تدرع بدرعين، ولبس المغفر والبيضة يوم أن هاجر من مكة إلى المدينة، وفي أحد لبس اللامة[٤٧]، وقد قال الله تعالى: ((وَخُذُوا حِذْرَكُمْ)). (٧: النساء)، وقال تعالى: ((وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِباطِ الْخَيْلِ)). (٦٠:الأنفال).

وكأنه تعالى يقول للمسلمين في كل مكان وزمان : افعلوا أقصى ما تستطيعون، واحشدوا كل إمكاناتكم، حتى ولو كانت اقل من قوة وإمكانات الخصوم، فالاستطاعة هي الحد الأقصى المطلوب منكم، وما يزيد على ذلك يتكفل الله تعالى به، بإمكاناته التي لا حدود لها؛ ففعل أقصى المستطاع هو برهان الإخلاص، وهو الشرط المطلوب لينزل عون الله ونصره، فعلى المسلمين اليوم أن يتجاوزوا مرحلة الوهن والغثاء، إلى مرحلة القوة والبناء، وأن يتركوا الأحلام والأمنيات، وينهضوا للأخذ بكل الأسباب، التي تعينهم على إقامة دولة الإسلام، وصناعة حضارة الإنسان الموصول برب العالمين[٤٨].

وفي هذا بيان واعتبار أنه على المسلم الأخذ بالأسباب، كأكثر ما يأخذها إنسان بأقصى الجهد، ثم ينتظر نصر الله. فلا إعداده يدعوه إلى أن يركن إلى نفسه، ولا توكّله على الله يهمله الأسباب، فكلاهما من أمر الله وسنّة الله (قدر الله وسنّته)، وهو في كلتا الحالتين مؤمن بالله تعالى، متوكل عليه، وهما جميعا لا يعملان بمعزل عن إرادة الله ورعايته، بل بهما لا بغيرهما تقوم المسيرات وتحدى القوافل[٤٩].

نعم يجب على المسلمين اليوم أن يقتدوا برسول الله ﷺ فيأخذوا بالأسباب في جميع جوانب حياتهم الاجتماعية والسياسية والعسكرية وغيرها، مع عدم نسيان التوكل على الله حتى يستحقوا نصر الله عز وجل، فإن لله في خلقه سننا ما نقضها لأحب الخلق إليه، ولن ينقضها لمن هو دونه من باب أولى، ومن سنن الله في هذا الكون الأخذ بالأسباب، فإذا عجز العبد عن ذلك، فعليه بالدعاء، والله يعذره[٥٠]، لقوله تعالى: ((لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَها)). (٢٨٦: البقرة).

تاسعا: فقه التخطيط والتنظيم

يعد التخطيط والتنظيم من القواعد والأسس التي عمل بها النبي ﷺ في مرحلة الدعوة السرية، فكل عمل يقوم به الإنسان، أو ينفذه، لا بد لهذا العمل

من خطة تؤدي إلى تحقيق النجاح والهدف المطلوب، وهكذا كان الرسول ﷺ في مرحلة الدعوة السرية، ليؤسس للعمل بهذا المبدأ العظيم (التخطيط والتنظيم) في جميع مراحل دعوته ﷺ.

فأن يبدأ النبي ﷺ دعوته بمرحلة سرية، ثم بمرحلة علنية، ويبدأ المرحلة السرية بدعوة الأقربين، ثم اقرب الناس إليه من خارج بيته، ثم يخرج بعد ذلك إلى العامة، وذلك التنوع والتدرج، كل ذلك يوضح مدى التخطيط ونجاحه من قبل الرسول ﷺ، وكذلك تنظيمه لحركة المسلمين الأوائل، وكيفية دخولهم وخروجهم، والطرق التي يسلكونها للوصول إلى دار الأرقم، وتنظيم اتصالهم بالأفراد لدعوتهم إلى الإسلام، كما ذكرنا في قصة إسلام أبي ذر، وكيفية اتصال علي بن أبي طالب رضي الله عنه به، وكيفية سلوكه للطريق إلى أن أوصله إلى رسول الله ﷺ، كل ذلك كان تنظيماً دقيقاً من رسول الله ﷺ لإنجاح هذه المرحلة واجتيازها وقد حققت الهدف.

والنبي ﷺ إذ يعمل بمبدأ التخطيط والتنظيم في هذه المرحلة، فهو لم يترك هذا المبدأ طيلة فترة دعوته السرية أو الجهرية، قبل الهجرة وفي الهجرة وبعدها، وحتى بعد وصوله المدينة وإدارته لشؤون المسلمين، وإدارته لأمور الدولة، فكان يخطط للتعامل مع الوضع الجديد في المدينة، فوضع مبدأ المؤاخاة بطريقة منتظمة، ووضع وثيقة المدينة، والمعاهدة مع اليهود، كل ذلك لتنظيم إدارة الدولة في تلك الفترة المهمة، ثم اتجه نحو وضع الخطط اللازمة لمواجهة قريش، وفي غزواته ﷺ لم يترك التخطيط والتنظيم، فوضع الخطط المناسبة لكل غزوة بما يتناسب والظروف المحيطة بها من اجل إحراز النصر فيها، فكان ﷺ يقسم الجيش ويضع على كل قسم قائد، وكان ينظم حركة كل قسم بطريقة تحقق النصر على العدو.

نعم هكذا كان يخطط النبي ﷺ وينظم، لأنه ﷺ كان يفقه بأن التخطيط هو الاستعداد في الحاضر لما يواجهه الإنسان في المستقبل، والسير على طريقة ونمط خاص ومدروس، من أجل تحقيق الأهداف الحاضرة والمستقبلية، وكل ما ذكرنا من التخطيط والتنظيم من قبل النبي ﷺ تؤكد على أن حياته ﷺ على اختلاف مراحلها كانت تسير وفق خطط مدروسة وواضحة، أساسها معرفة الواقع، وتوقع المستقبل، وهدفها تسيير الأمور الحاضرة والمستقبلية[٥١].

وإذا ما نظرنا إلى واقع المسلمين اليوم نجدهم بعيدين كل البعد عن هدي الرسول ﷺ في الحفاظ على هذا المبدأ العظيم، فهو يسيرون في هذه الحياة دون هدف أو خطة، ودون تنظيم، عدوهم يخطط بالليل والنهار، وهم نائمون غافلون، وكما يقولون إذا لم تكن لك خطة كنت جزءا من خطط الآخرين، فإذا ما بقي المسلمون اليوم بلا خطة، فإنهم لا شك سيكونون جزءا من خطط أعدائهم.

وهنا لا بد أن أوجه نداءً عاجلاً إلى الجماعات الإسلامية، نداءٌ يقول: عليكم أن تفهموا جيدا مبدأ التخطيط والتنظيم، عليكم أن تأخذوا العبرة من سيرة الرسول ﷺ، فهو القدوة والمثل الأعلى، عليكم أن توجهوا رجالكم وشبابكم بخطط مدروسة، وأن تكون حركتهم وفق تنظيم صحيح، عليكم أن تضعوا الخطط المناسبة لمواجهة الواقع، من أجل تحقيق الهدف في المستقبل،

عليكم أن تكونوا على قدر المسؤولية، فتضعوا الخطط التي توصلكم إلى غايتكم.

عاشرا: فقه الاستشارة

من صفات القائد الناجح أنه لا يستبد برأيه، وأنه يأخذ بآراء الآخرين ويستنير بها، بما يخدم القضية التي ينادي بها، وبما يحقق الهدف الذي يسعى الوصول إليه، من أجل تحقيق أفضل النتائج، لذلك نجد النبي ﷺ أول ما نزل عليه الوحي انطلق إلى خديجة رضي الله عنها، يسألها ويستشيرها، ويطلب منها الرأي السديد في أمر الوحي الذي جاءه، فأشارت عليه أن تذهب به إلى ابن عمها ورقة بن نوفل.

نعم هكذا هو القائد الناجح، يأخذ برأي أقرب الناس إليه، حتى ولو كانت امرأة، فلا فرق في الإسلام بين ذكر وأنثى إلا بالتقوى، وهكذا نجد النبي ﷺ يؤسس في هذا الموقف لمبدأ الاستشارة، ذلك المبدأ الذي نجده خلال مسيرة الدعوة، وفي كل مراحلها، وفي كل أحداث السيرة ومواقفها، مبدءاً عملياً، له من القواعد والأصول التي تحدده ما تجعله يحقق الغاية المرجوة منه في كل مرحلة أو موقف.

رأيناه ﷺ في هذا الموقف كيف أخذ برأي المرأة، أما كيف كانت طريقة الإجابة من السيدة خديجة رضي الله عنها في هذا الموقف؟ قالت له خديجة رضي الله عنها : كلا والله ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق[٥٢].

نعم هكذا يجب أن يكون الأدب مع المستشير، بهذه الكلمات الجميلة الرقيقة كانت إجابة سيدتنا خديجة رضي الله عنها، وهنا يجب أن نشير إلى أمر مهم وهو جواز استشارة المفضول، فالنبي ﷺ هو أفضل البشر، ومع ذلك استشار من هو أقل منه فضلاً عند الله تعالى.

وإذا ما رجعنا إلى كتب السيرة النبوية نستقصي الأحداث ونقف عندها، وجدناه ﷺ يستشير أبا بكر رضي الله عنه في الهجرة، واستشار أصحابه في مواجهة قريش في بدر عندما نجت القافلة، وأشار عليه الحباب رضي الله عنه في أفضل مكان للنزول عنده في بدر، واستشار ﷺ أصحابه في أسرى بدر، واستشارهم كذلك في الخروج إلى احد لملاقاة قريش، وفي حادثة الإفك استشار أسامة بن زيد وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما، وفي النحر يوم الحديبية استشار أم سلمة رضي الله عنها، وغيرها من مواقف وأحداث السيرة التي استعمل فيها النبي ﷺ هذا المبدأ العظيم.

هكذا كان ﷺ في استشارته لصحابته، يستشير من هو أقل منه شأناً، يستشير الرجل والمرأة، يستشير الصغير والكبير، يستشير الواحد والاثنين، ويستشير الجماعة، يستشير في كل الأمور المتعلقة بحياته الاجتماعية والسياسية والعسكرية، في السلم والحرب، في الشدة والرخاء، لا يترك موقفاً يحتاج فيه إلى الاستشارة إلا وأخذ بهذا المبدأ العظيم وعمل به كما رأينا[٥٣].

المطلب الثاني

أسباب نجاح الدعوة السرية

في هذا المطلب نحاول أن نستنتج ونستخلص أهم الأسباب والعوامل التي ساعدت على نجاح الدعوة في هذه المرحلة، لتنتقل الدعوة إلى مرحلة جديدة من مسيرتها وهي الدعوة العلنية، ويمكننا أن نلخص هذه العوامل بما يأتي:

١-وضوح الهدف: أول هذه العوامل حسب ما أرى هو وضوح الهدف بالنسبة للنبي ﷺ وأصحابه ﷺ في هذه المرحلة، فالهدف كان دعوة الناس إلى عبادة الله تعالى، بعيداً عن المواجهة أو الاقتتال، أو أي أمر ممكن أن يخرج بالدعوة عن هدفها الحقيقي، وهذا ما بيناه من خلال فقه النبي ﷺ في الحفاظ على النفس، وحفاظه على هذه الدعوة المباركة.

٢-دقة المنهج النبوي في التعامل مع المرحلة: لقد كان للمنهج الذي اتبعه النبي ﷺ في التعامل مع هذه المرحلة من أهم عوامل نجاح هذه الدعوة في مرحلتها السرية، ففقه التدرج في المراحل وفي العمل الدعوي الذي اتبعه النبي ﷺ، وفقه الاحتواء، وفقه التنوع العشائري وغيره، وفقه الحذر والحيطة، كل ذلك جعل من منهج النبي ﷺ منهجا دقيقاً في التعامل مع المرحلة أدى إلى النجاح وتحقيق النصر في الدعوة السرية.

٣-حسن الاختيار للأشخاص: لا شك أن اختيار الأشخاص المناسبين والأكفاء لكل مرحلة يعد واحداً من أهم عوامل نجاحها، وهذا ما كان عاملاً في نجاح الدعوة السرية للرسول ﷺ في هذه المرحلة الحرجة، فاختيار الأشخاص لم يكن بالأمر السهل واليسير، لأن الشخص الذي سيختاره النبي ﷺ في هذه المرحلة يجب أن يكون قادراً على حفظ سر هذه الدعوة إن هو أسلم، وكتمان أمرها إن هو لم يسلم، لذا كان حسن الاختيار من النبي ﷺ للأشخاص في مرحلة الدعوة السرية من أهم وأقوى عوامل نجاحها، وهو ما أثبتته الأيام، فقد اتصف الأشخاص الذين أسلموا في هذه المرحلة بصفات السمع والطاعة للرسول ﷺ، والصبر والثبات على الأذى، والتأييد الخالص لرسول الله ﷺ، وقبل هذا كله كان الولاء التام للعقيدة والدين الجديد من أهم ما تميز به هذا الجيل، وهذا ما تحقق للصحابة من خلال فقه النبي ﷺ بحاجة المرحلة إلى الإعداد والبناء لأفراد هذه الدعوة، فكانت تلك الصفات من ثمرات التربية والإعداد.

٤-الحاجة إلى التغيير: حاجة المجتمع الجاهلي الذي ولدت فيه هذه الدعوة المباركة إلى التغيير كان من العوامل المهمة في نجاح هذه الدعوة في مرحلتها السرية وعبورها إلى بر الأمان، فالمجتمع المكي كما ذكرنا في التمهيد كان يعيش في تيه فكري، واجتماعي، وثقافي، وسياسي، هذا كله جعل الحاجة إلى التغيير أمراً ملحاً في هذا المجتمع، وجعل منه عاملاً من عوامل نجاح الدعوة السرية كما قلنا.

٥-الفردية في الدعوة: كل دعوة إذا كانت تمر بمرحلة سرية، فلا شك أن الدعوة الفردية ستكون أسهل بكثير من الدعوة الجماعية في مرحلتها هذه، وهذا ما كانت عليه دعوة الرسول ﷺ في هذه المرحلة، فكل من يسلم كان

ينطلق في الدعوة بمفرده، ويحاول أن يتصل بالأفراد لا بالجماعات، لتبليغهم ودعوتهم إلى الدين الجديد، ولا شك أن السرية في هذه المرحلة كانت من الأسباب الداعية إلى الفردية في الدعوة، حتى لا ينكشف أمرها بسرعة أو في غير وقتها المخطط لها، لذا كانت فردية الدعوة من أهم عوامل نجاح الدعوة السرية.

٦-توزيع المهام والأدوار: كل جماعة تريد لنفسها النجاح والتطور لا بد لها أن تعرف كيف توزع المهام والأدوار على أفرادها، حتى لا يحصل تداخل في العمل يؤدي إلى الاضطراب في الجماعة وعملها، وهذا ما عمل به النبي ﷺ في مرحلة الدعوة السرية، وذلك من خلال فقهه بحاجة المرحلة إلى التخطيط والتنظيم الدقيقين، وحسن الإدارة لهذه الجماعة، ومما ساعده على اختيار ووضع الخطط المناسبة هي تلك المرحلة التي قضاها في غار حراء، يتعبد ويتفكر في شؤون الخلق وما صاروا إليه ، وأصبح عنده صورة واضحة لحال قومه، مما ساعده على نجاح الخطط الموضوعة في تلك المرحلة، ومن ثمَّ نجاح الدعوة السرية.

هذه هي أهم العوامل التي ساعدت على تخطي الدعوة السرية هذه المرحلة المهمة من حياة الدعوة، وهي ليست جميع الأسباب، فربما تكون هناك أسباب من الأهمية بمكان، وربما تكون هناك أسباب أقل أهمية كذلك.

الخاتمة

في ختام هذا البحث يمكننا أن نلخصه بعدد من النقاط وهي:

١. إن المجتمع المكي الذي ولدت فيه الدعوة النبوية كان مجتمعاً جاهلياً في جميع الجوانب الفكرية والدينية والسياسية والاجتماعية وفي جميع النواحي الأخرى.
٢. إن الرسول ﷺ كان يختلي في غراء حراء أياماً وليالي يتفكر في الإنسان وخالقه، ويراجع ما وصل إليه حال قومه من الظلال.
٣. لما نزل الوحي على رسول الله ﷺ انطلق الرسول ﷺ بدعوته الجديدة في أرجاء بمكة بمرحلتها الأولى وهي المرحلة السرية.
٤. أن الرسول ﷺ أول ما بدأ بدعوة أهل بيته فأسلمت زوجته وبناته ومولاه زيد وابن عمه علي بن أبي طالب فكان أول بيت اسلم.
٥. ثم انطلق إلى اقرب الناس وهو أبو بكر فاسلم، ثم انطلق الجميع في دعوة فردية سرية يدعون من يرونه أهلا لهذه الدعوة ولهذا الدين الجديد، وقد كانت دعوتهم بحكمة وروية، وبطريقة مدروسة، فاختيار الأشخاص لهذه الدعوة يجب أن يكون وفق صفات تؤهله لأن يكون قادراً على حفظ سر الدعوة إن هو أسلم، وكتمان أمرها إن هو لم يسلم.
٦. ثم بدأ الناس يدخلون في الدعوة الجديدة حتى تجاوزوا الأربعين بين رجل وامرأة.

٧. كان الرسول ﷺ في هذه المرحلة قد اختار دار الأرقم بن أبي الأرقم وهو أحد الذي أسلموا في الفترة السرية، اختار هذه الدار لتكون مكاناً يلتقي في المسلمون الأوائل ويجتمعون فيه، ويتلقون الأوامر والآيات التي تنزل، فكان دار الأرقم أول مدرسة في الإسلام، ولم يكن اختيار الرسول ﷺ لهذه الدار اختياراً عشوائياً وإنما كانت عدة عوامل أدت إلى هذا الاختيار.
٨. ثم نزلت آيات سورة المدثر والتي تعلن انتهاء المرحلة السرية وبداية الدعوة العلنية.
٩. لقد فقه النبي ﷺ هذه المرحلة بصورة جيدة، من اجل إنجاحها، فكان فقه التدرج حاضراً في العمل الدعوي، فبدأ دعوته ﷺ بمرحلة سرية ثم بمرحلة علنية في مكة ثم في المدينة.
١٠. وفقه التغيير الذي بدأ بالنفس أولا ثم بأهل بيته، ثم بأقرب الناس، ثم خرج إلى المجتمع.
١١. وأما فقه الحفاظ على النفس فكان من أجل الحفاظ على أرواح الصحابة في هذه المرحلة ليبقى قانون التدافع ساري المفعول، فيدفع الكفر بالإيمان، والفساد بالصلاح، والظلمات بالنور.
١٢. وفقه الاحتواء كان ضرورياً في هذه المرحلة لاحتواء المكان والزمان، وعبور هذه المرحلة دون مشاكل تؤثر على سير الدعوة.
١٣. وكذلك كان لفقه الحذر والحيطة أهمية في هذه الدعوة، وعمل به الرسول ﷺ من أجل كسب أكبر عدد ممكن إلى الدين الجديد دون علم قريش.
١٤. وفقه النبي ﷺ أن التنوع ضروري في هذه المرحلة، فكان من دخل إلى الإسلام من الرجال والنساء، والتنوع الطبقي فدخل الغني والفقير، والعبد والسيد، وكذلك تنوع العمر فكان الشيوخ والشباب، وتنوع المهن بين التاجر والعامل، والتنوع المهم الآخر هو ذلك التنوع العشائري الذي جعل من هذه الدعوة دعوة عالمية صالحة لكل زمان ومكان.
١٥. وفقه النبي ﷺ أن التخطيط والتنظيم كذلك لا بد منهما في مراحل الدعوة، ومرحلة الدعوة السرية واحدة منها فعمل بهذا المبدأ العظيم.
١٦. أما فقه الأخذ بالأسباب فهو الذي دعا رسول الله ﷺ إلى الحذر والحيطة، ووضع الخطط المناسبة، وتنظيم حركة المسلمين الأوائل، ووضع مراحل التدرج في الدعوة، مع عدم نسيان التوكل على الله في كل ذلك.
١٧. وكان النبي ﷺ يعي أهمية اخذ رأي الآخرين والإستنارة بأقوالهم، ففقه أهمية الاستشارة في الدعوة، فلم يدع مجالاً إلا واستشار أصحابه فيه كلما دعت الحاجة له.

١٨. وكان لا بد أمام تلك المعوقات والصعوبات التي سيواجهها المسلمون في تلك المرحلة، كان لا بد أمام هذا كله من تربية وإعداد وبناء لأفراد هذه الدعوة، بما يجعلهم أهلاً لحمل الأمانة، والثبات، والصبر، أمام ما سيواجهه من أذى، وتعذيب، واضطهاد، من المخالفين المعاندين لهذه الدعوة.

١٩. من خلال ملاحظتنا لفقه النبي ﷺ في هذه المرحلة نجد أن رسول الله ﷺ كان يؤسس لهذا الفقه ليكون منهاج عمل في جميع مراحل السيرة، ليعلم المسلم في كل وقت وزمان هذا الفقه، فعلى المسلم أن يستفيد منها في جميع جوانب حياته.

٢٠. وفي ختام البحث كان لا بد أن نستنتج أهم العوامل والأسباب التي أدت إلى نجاح الدعوة في هذه المرحلة، فكان وضوح الهدف أول هذه العوامل وهو دعوة الناس إلى عبادة الله تعالى، بعيداً عن المواجهة أو الاقتتال، أو أي أمر ممكن أن يخرج بالدعوة عن هدفها الحقيقي.

٢١. وكان دقة المنهج الذي اتبعه النبي ﷺ في التعامل مع هذه المرحلة من أهم عوامل نجاح هذه الدعوة في مرحلتها السرية.

٢٢. ولا شك أن اختيار الأشخاص المناسبين والأكفاء لكل مرحلة يعد واحداً من أهم عوامل نجاحها، وهذا ما كان عاملاً في نجاح الدعوة السرية للرسول ﷺ في هذه المرحلة الحرجة.

٢٣. وحاجة المجتمع الجاهلي الذي ولدت فيه هذه الدعوة المباركة إلى التغيير كان من العوامل المهمة في نجاح هذه الدعوة في مرحلتها السرية وعبورها إلى بر الأمان، فالمجتمع المكي كما ذكرنا كان يعيش في تيه فكري، واجتماعي، وثقافي، وسياسي، هذا كله جعل الحاجة إلى التغيير أمراً ملحاً في هذا المجتمع، وجعل منه عاملاً من عوامل نجاح الدعوة السرية كما قلنا.

٢٤. والدعوة إذا كانت تمر بمرحلة سرية، فلا شك أن الدعوة الفردية ستكون أسهل بكثير من الدعوة الجماعية في مرحلتها هذه، وهذا ما كانت عليه دعوة الرسول ﷺ في هذه المرحلة،فكانت من أهم عوامل نجاح الدعوة السرية.

٢٥. وكل جماعة تريد لنفسها النجاح والتطور لا بد لها أن تعرف كيف توزع المهام والأدوار على أفرادها، حتى لا يحصل تداخل في العمل يؤدي إلى الاضطراب في الجماعة وعملها، وهذا ما عمل به النبي ﷺ في مرحلة الدعوة السرية، وذلك من خلال فقهه بحاجة المرحلة إلى التخطيط والتنظيم الدقيقين، وحسن الإدارة لهذه الجماعة مما أدى إلى نجاح الدعوة السرية.

Conclusion

At the conclusion of this research we can a number of points, namely:

1. The Mecca community where she was born prophetic call was communities in all aspects of intellectual, religious, political, social and in all other respects.
2. The Prophet (pbuh) was alone with glue Hira days and nights speculate in man and his creator, and reviewing reached if his people from the shadows.
3. What came the revelation of the Messenger of Allah (pbuh) began the Prophet (pbuh) by calling around the new Mecca ,in the first Phase confidentiality.
4. That the Prophet (pbuh) first began to invite his family in Islam, his wife, his daughters and his master Zaid and his cousin Ali ibn Abi Talib was the first house of the safest.
5. Then go to the nearest people, Abu Bakr became Muslim, then zap everyone to invite individual confidentiality claim of see Welcome to this call and this new religion, has been invited wisely and deliberately, and in a measured way, choosing the people to this call must be in accordance with recipes qualify him to be able to Remember the mystery that is the safest call, and concealment of her if he did not deliver.
6. Then people began to enter into a new call until exceeded forty between a man and a woman.
7. The Prophet at this stage, has chosen Dar Al-Arqam ibn Abi al-Arqam, one who converted to Islam during the period of confidentiality, chose this house to be a place to meet in early Muslims and they meet it, and receive commands and verses that come down, was the Dar al-Arqam first school in Islam, and did not choose the Prophet (pbuh) to this house at random choice, but several factors have led to this choice.
8. Then I got verses of Sura Amma and announcing the end of Phase confidentiality and the beginning of the public advocacy.
9. The jurisprudence of the Prophet (pbuh) well this stage, in order to make it a success, was the jurisprudence of the gradient present in the advocacy work, began to call secret and then stage a public stage in Mecca and then in Medina.
10. And the jurisprudence of self-initiated change first, and then the people of his home, then the nearest people, then went out to the community.
11. The jurisprudence of self-preservation was to preserve the lives of the companions at this stage to keep the law scramble valid ،disbelief faith, corruption goodness, darkness and light.
12. Senior containment was necessary at this stage to contain the place and time, and crossing this stage without problems affect the course of the call.

13. As well as the jurisprudence and caution importance in this call, and the work of the Prophet (pbuh) in order to gain the largest possible number to the new debt without the knowledge of the Quraish.
14. And the jurisprudence of the Prophet that diversity is necessary at this stage, was of the income to Islam, men and women, and the diversity of the class went into rich and poor, slave and Mr., as well as the diversity of life was the elders and youth, and the diversity of professions between the trader and the world, diversity is important to the other is that diversity clan who made This call global call valid for every time and place.
15. And the jurisprudence of the Prophet (pbuh) that the planning and organization as well not have them in the stages of the call, and the stage of confidentiality and call one of them and worked with this great principle.
16. The jurisprudence introduction of the reasons is that the Messenger of Allah (pbuh) called for caution and prudence, and to develop appropriate plans and regulate the movement of the early Muslims, and the development stages of the gradient in the invitation, not forgetting trust in God in all of this.
17. The Prophet (pbuh) is aware of the importance of taking the opinion of others and enlightenment testimony, Vvgah importance of counseling in the invitation, was unmistakably only consulted his companions in it whenever the need arises for him.
18. It was not in front of these obstacles and difficulties faced by the Muslims at that stage, it was not in front of the whole of education and the preparation and construction of the members of this call, including making them eligible to carry the Secretariat, fortitude, and patience, in front of what will face harm, torture, persecution, offenders to this call.
19. Through our observation to the jurisprudence of the Prophet (pbuh) at this stage, we find that the Messenger of Allah (pbuh) was found for this doctrine to be the Platform for Action in all stages of the curriculum, to teach Muslim in all the time and venue of this jurisprudence, the Muslim should benefit them in all aspects of his life.
20. At the conclusion of research had to deduce the most important factors and reasons that led to the success of the call at this stage, was the clarity of purpose first of these factors is to call people to worship God, away from confrontation or fighting, or it is possible to come out to call for its real goal.
21. The accuracy of the approach taken by the Prophet (pbuh) in dealing with this stage of the most important factors in the success of this call in its secrecy.

22. There is no doubt that the selection of the right people and qualified for each stage is one of the most important factors in their success, and this was a factor in the success of the call secret of the Prophet (pbuh) at this critical stage.
23. And the need for society ignorant I was born this call blessed to change was an important factor in the success of this call in its secrecy and crossed to safety, community-Makki as we had been living in teh intellectual, and social, cultural, and political, all this make the need for change is urgency in this community, and make it a factor of the success of the call secrecy, as we said.
24. Call if undergoing a secret, there is no doubt that the individual call will be much easier than the collective call at this stage, and that's what it was to invite the Prophet (pbuh) at this stage, was one of the most important success factors call for confidentiality.
25. Each group wants for herself success and development does it have to know how to distribute the tasks and roles of its members, so do not get interference in the work leads to confusion in the community and work, and this is what the work of the Prophet at the stage of calling confidentiality, and through his understanding need phase to planning and careful organization, and good governance for the group which led to the success of the call confidentiality.

الهوامش

١. عمرو بن لحي: هو عمر بن ربيعة بن لحي بن حارثة من خزاعة، ومنه تفرقت قبائل خزاعة، حيث ولد له أربعة نفر وهم (كعب وعوف ومليح وسعد)، ولي عمرو أمر مكة بعد أبيه، فكان له مكة وسدانة البيت، أمه كانت فهيرة بنت عامر بن عمرو بن الحارث بن عمرو الجرهمي، بلغ عمرو بن لحي في العرب من الشرف ما لم يبلغه عربي مثله، وهو أول من اطعم الحجاج بمكة سدايف الإبل ولحمها على الثريد، وأول من غير دين إسماعيل عليه السلام إلى عبادة الأوثان . ينظر: أبو المنذر سلمة بن مسلم بن إبراهيم الصحاري العوتبي (توفي ٥١١هـ)،الأنساب،ج١، ص١٩١-١٩٢، وأحمد بن محمد بن إبراهيم، شهاب الدين أبو الحجاج الأشعري الشافعي(توفى: ٦٠٠هـ)،التعريف بالأنساب،ج١، ص٤٧، والسيد الحسين بن حيدر الهاشمي الحسيني، جمهرة انساب أمهات النبي للهاشمي الحسيني، ج١، ص٣٢و٨٨.
٢. البحر الأحمر: هو نسبة إلى مدينة على ساحل بحر اليمن (الأحمر) وهي على آخره من جهة مصر وهي السويس حاليا، وكان يسمى بحر القلزم: ينظر: أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري، شهاب الدين (توفي: ٧٤٩هـ)، مسالك الابصار في ممالك الأمصار: لأحمد، المجمع الثقافي، أبو ظبي،١٤٢٣هـ (ط ١)،ج٣، ص١٨٦.

٣. الطائف: اسمها وَجْ، وسميت الطائف بذلك الطوف الذي أحاطه عليها قسي وهو ثقيف وكانت الطائف مهربا وملجأ لكل هارب، وتبعد عن مكة مسيرة يومين. ينظر: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق الهمداني المعروف بابن الفقيه (توفي ٣٦٥)، البلدان، تحقيق: يوسف الهادي، عالم الكتب،بيروت، ١٤١٦هـ،١٩٩٦م (ط ١)، ص٧٩، وإسحاق بن الحسين المنجم (توفي: ق ٤هـ)، آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٨هـ (ط ١)، ص٥٦، وأبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي(توفي ٤٨٧هـ)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٣هـ (ط٣)، ج١، ص٦٧.

٤. وادي نخلة: تقع بين مكة والطائف على بعد ليلة عن مكة بعضها يعرف بنخلة الشامية وبعضها بنخلة اليمانية. ينظر: محمد بن احمد بن علي تقي الدين أبو الطيب المكي الحسني الفاسي (توفي ٨٢٣هـ)، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، دار الكتب العلمية،١٤٢١هـ-٢٠٠٠م(ط١)،ج١،ص٣٨.

٥. ينظر: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد (توفي ٢١٣هـ)، سيرة ابن هشام، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، ١٤١١هـ، ج١، ص٧١-٧٤، والصحاري، الانساب، ج١، ص١٩٢، وابو الحجاج الاشعري، التعريف بالانساب، ج١، ص٤٧، والهاشمي الحسيني، جمهرة انساب أمهات النبي ﷺ، ج١، ص١٣، و صفي الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم في سيرة سيد المرسلين، دار الهلال، بيروت (ط١)، ص٢٧.

٦. ينظر: محمد بن محمد بن سويلم أبو شهبة، السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، دار القلم، دمشق، ١٤٢٧هـ (ط٨)،ج١،ص٨٦-٩٣.

٧. ينظر: أبو شهبة، السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة،ج١،ص٦٠-٦١.

٨. ينظر: لإمام احمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، مسند احمد، مؤسسة قرطبة، القاهرة، باب حديث جعفر بن أبي طالب وهو حديث الهجرة، رقم الحديث ١٧٤٠، ج١، ص٢٠١.

٩. ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص٢٣٤-٢٣٥، ومحمد بن محمد بن محمد بن أحمد، ابن سيد الناس، اليعمري الربعي، أبو الفتح، فتح الدين (توفي: ٧٣٤هـ)، عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، تعليق: إبراهيم محمد رمضان، دار القلم، بيروت، ١٤١٤هـ،١٩٩٣م(ط١)، ج١، ص٩٨، و أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي(توفي ٧٧٤هـ)، الفصول في سيرة الرسول، تحقيق: محمد العيد الخطراوي، محيي الدين مستو، مؤسسة علوم القرآن، ١٤٠٣هـ(ط٣)، ص٩٨.

١٠. ينظر: الإمام محمد بن إسماعيل أبي عبد الله البخاري الجعفي،الجامع الصحيح المختصر، تحيق: د.مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ١٤٠٧هـ،١٩٨٧م(ط٣)، باب أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا

الصالحة رقم الحديث ٦٥٨، ج٦،ص٢٥٦١، والإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (توفي٢٦١هـ)، المسند الصحيح المختصر، دار الجيل،بيروت،١٤٣٣هـ: باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ رقم الحديث ٣٢٢، ج١،ص٩٧.

١١. ينظر: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (توفي ٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، ١٤٢٠هـ،١٩٩٩م(ط٢)،ج٨،ص٢٦١-٢٦٤.

١٢. ينظر: ابن كثير،الفصول في سيرة الرسول، ج١،ص٤١٤، وابن سيد الناس، عيون الأثر، ج١،ص١١١، ومحمد بن يوسف الصالحي الشامي (توفي ٩٤٢هـ)، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض،دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٤هـ،١٩٩٣م (ط١)، ج٢، ص٣٠٠.

١٣. ينظر: ابن هشام، السيرة، ج١،ص٢٥٠-٢٥١، ابن كثير، الفصول في سيرة الرسول، ج١، ص٤٢٧، وابن سيد الناس، عيون الأثر، ج١، ص١١٢-١١٣، والشامي، سبل الهدى والرشاد، ج٢،ص٣٠٥.

١٤. ينظر: ابن هشام، السيرة، ج١، ص٢٥٢-٢٦٢، ابن سيد الناس، عيون الأثر، ج١، ص١١٣-١١٦، والشامي، سبل الهدى والرشاد، ج٢، ص٣٠٧-٣١٣.

١٥. ينظر:الشامي،سبل الهدى والرشاد، ج٢،ص٣١٩، علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، أبو الفرج، نور الدين ابن برهان (توفي ١٠٤٤هـ)، السيرة الحلبية المسماة إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٧هـ(ط٢)، ج١،ص٤٠٢.

١٦. أبو جمرة: هو نصر بْن عِمْران اليزني أَبُو جمرة الضبعي الْبَصْرِيّ، سمع ابن عَبَّاس، وروى عنه شعبة وحماد بن زيد وحماد ابن سلمة، ثقة متفق على توثيقه، مات فِي العراق سنة إحدى وعشرين ومائة إلى سنة أربع وعشرين ومائة. ينظر: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله(توفي ٢٥٦هـ)، التاريخ الكبير، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن،ج٨،ص١٠٤، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري(توفي ٢٦١هـ)، الكنى والأسماء، تحقيق: عبد الرحيم محمد احمد القشقري، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة ، المملكة العربية السعودية ،١٤٠٤ هـ ،١٩٨٤م (ط١) ، ج١، ص١٩٧ ، أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلى الكوفى(توفي ٢٦١هـ)، تاريخ الثقات، دار الباز، ١٤٠٥هـ،١٩٨٤م (ط١)، ص٤٩٤.

١٧. ينظر: البخاري، صحيح البخاري، باب قصة إسلام أبي ذر رضي الله عنه رقم الحديث ٣٣٢٨، ج٣،ص١٢٩٤.

١٨. ينظر: مسلم، صحيح مسلم، باب إسلام عمرو بن عبسة رقم الحديث ٨٣٢، ج١،ص٥٦٩.
١٩. ينظر: سلمان بن فهد العودة، سلسلة رسائل (الغرباء الأولون)، دار ابن الجوزي، الدمام، ١٤١٠هـ،١٩٨٩م (ط١)، ص٧١و١٥٤.
٢٠. ينظر: الإمام احمد، مسند أحمد، رقم الحديث ٢٠٧١، ج٣،ص٤٩٨.
٢١. ينظر: علي محمد الصلابي، السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، دار المعرفة،بيروت، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٦م(ط٣)، ص٩٩، وأحمد أحمد غلوش، السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م(ط١)، ص٤٥٦.
٢٢. ينظر: مسلم، صحيح مسلم، باب فضائل انس بن مالك ﷺ رقم الحديث ٦٤٦١، ج٧،ص١٦٠.
٢٣. ينظر: العودة، الغرباء الأولون، ص١٢٦.
٢٤. ينظر: العودة، الغرباء الأولون، ص٧٨.
٢٥. ينظر: أبو شهبة، السيرة النبوية في ضوء الكتاب والسنة،ج١، ص٢٨٤، والدكتور راغب السرجاني، محاضرات في السيرة،ص٢.
٢٦. ينظر: ابن كثير، الفصول في سيرة الرسول، ج١،ص٤٢٦، وابن سيد الناس، عيون الأثر، ج١،ص١١٠، والشامي، سبل الهدى، ج٢،ص٣٠٠.
٢٧. ينظر: غلوش، السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٤هـ،٢٠٠٣م(ط١)، ص٣٣٦.
٢٨. السرجاني، محاضرات في السيرة، ص٩.
٢٩. ينظر: الصلابي، السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، دار المعرفة، بيروت، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٦م (ط٣)، ص١٠٦.
٣٠. ينظر: د.أكرم ضياء العمري، السيرة النبوية الصحيحة، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٤١٥هـ،١٩٩٤م(ط٦)، ج١،ص١٣٣.
٣١. ينظر: العودة، الغرباء الأولون، ص١٥٤.
٣٢. ينظر: محمد راتب النابلسي، محاضرات في فقه السيرة النبوية، ص٣، والسرجاني، محاضرات في السيرة، ص١.
٣٣. ينظر: السرجاني، محاضرات في السيرة، ص٧.
٣٤. ينظر: النابلسي، محاضرات في السيرة، ص٨و ٩.
٣٥. ينظر: غلوش، السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي، ص٩٣و ٤٥٢.
٣٦. ينظر: د.محمد أمحزون، منهج النبي ﷺ في الدعوة من خلال السيرة الصحيحة، دار السلام، مصر، ١٤٢٧هـ،٢٠٠٦م(ط٣)، ص١١٧-١١٨، والعودة، الغرباء الأولون، ص٩٧، والسرجاني، محاضرات في السيرة النبوية، ص٢.
٣٧. ينظر: احمد، مسند أحمد، رقم الحديث (١٤٦٥٣)، ج٢٣،ص٢٢.

٣٨. ينظر: سعيد بن مسفر، محاضرة بعنوان مراحل الدعوة في حياة الرسول ﷺ المرحلة السرية، مأخوذة من موقع إسلام ويب صفحة المحاضرة :
http://audio.islamweb.net/audio/index.php?page=FullContent&audioid=%20108864
٣٩. ينظر: السرجاني، محاضرات في السيرة، ص٦.
٤٠. ينظر: السرجاني، محاضرات في السيرة، ص٦.
٤١. ينظر: العودة، الغرباء الأولون، ص١٣٣.
٤٢. ينظر: الطيب برغوث، منهج النبي ﷺ في حماية الدعوة، طبعة المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م(ط١)، ص٢٤١و٢٤٨.
٤٣. ينظر: سيد قطب، معالم في الطريق، دار المعمور، بهانج، ١٤٣٠هـ،٢٠٠٩م(ط١)، ص٢٤.
٤٤. ينظر: أمحزون، المنهج النبوي في الدعوة، ص٤٦.
٤٥. ينظر: أمحزون، المنهج النبوي في الدعوة، ص٤٧.
٤٦. ينظر: البخاري، صحيح البخاري، باب مناقب المهاجرين وفضلهم رقم الحديث (٣٤٥٣)، ج٣،ص١٣٣٧.
٤٧. ينظر: حسن بن محمد المشاط المالكي، إنارة الدجى في مغازي خير الورى ﷺ، دار المنهاج، جدة، ١٤٢٦هـ(ط٢)، ص٦٦٨.
٤٨. ينظر: الصلابي، السيرة النبوية، ص١٩٠.
٤٩. ينظر: عبد الرحمن علي الحجي، السيرة النبوية منهجية دراستها واستعراض أحداثها، دار ابن كثير، دمشق، ١٤٢٠هـ(ط١)، ص٣١١.
٥٠. ينظر: احمد بن عبد الفتاح زواوي، شمائل الرسول ﷺ، دار القمة، الإسكندرية، ج١،ص١٦٣.
٥١. ينظر: د. عبد العزيز بن إبراهيم العمري، أبعاد إدارية واقتصادية واجتماعية وتقنية في السيرة النبوية، ١٤٢٦هـ،٢٠٠٥م(ط١)، ص٣٩.
٥٢. ينظر الحديث كاملا في صحيح البخاري، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ رقم الحديث(٣)، ج١،ص٧ .
٥٣. يراجع في ذلك للباحث: المنهج النبوي في الاستشارة: وهو بحث مشارك في مؤتمر السيرة النبوية ودروها في بناء الشخصية الإسلامية المعاصرة الذي أقامه المعهد العالمي للفكر الإسلامي- عمان-نيسان-٢٠١١، في هذا البحث جمع لمواقف الاستشارة، مع بيان الفقه المستنبط من كل موقف، وبيان أثر الاستشارة في بناء شخصية المسلم المعاصرة.